
لستُ أنا
بين السراب والحقيقة....
حسين نور عبد الله

حسين نور عبدالله

لست أنا

بين السراب والحقيقة , وبين العلم والغيب , وبين
الباطن والظاهر , أقف متسائلا : من أنا ؟

حسين نور عبدالله

" الى انسان لم يولد بعد ....."

"المعرفة يجب ان تكون حقا من حقوق الانسان , ولذلك سيكون هذا الكتاب وكل مؤلفات الكاتب متاحة للكل , فهدفنا مشاركة التجربة والمعرفة مع الكل "

- **منذ البداية :**
1- اكتشاف النار
2- طور الرعي
3- أثر الحضارة على الذات
- الانسان في فلسفات الشرق الاقصى :
1- الانسان في الهندوسية .
2- الانسان في البوذية .
3- الانسان في الطاوية .
4- الانسان في الكوفوشيوسية
- **ثورة الذات الحقيقية**
- **الانسان في الفلسفة الغربية :**
1- الحقبة الهلنستية
2- المدرسة الكلبية
3- المدرسة القورينائية
4- المدرسة الرواقية
5- المدرسة الابقورية
6- بين الرواقية والابقورية
- **القرون الوسطى**
- **موانع التعرف على الذات** -:
1- اللغة
2- الوهم
3- سرطان الفكر
4- ارادة الاعتقاد
- **كيف نتعرف عى ذواتنا**
1- الانعزال
2- الصمت
3- فكر بعمق
4- الآن
- **لست أنا :**

1- لست معتقدك
2- لست مجتمعك
3- لست ماضيك او مستقبلك
4- لست ممتلكاتك

- **حب الاختلاف**
- **كن محبا**
- **العلم الى أين ؟**
- **قبل ان أموت ....**
- **الباب الثاني**

مقدمة

هنا تشير الى هناك , الليل يشير الى النهار , أنا أشير الى ذاك , هكذا يقول العقل السطحي فيبدأ في تقسيم كل شيء فيما الحقيقة تكمن في أن هناك وهنا يشيران الى بعضهما ولذلك الليل والنهار وأنا وأنت شيء واحد .

العالم واحد متغير بكامله بشكل مستمر , لا مجال لزينون الايلي وانكاره للحركة ولا بارميندس ووحدة كل شيء وهيراقليطس وتغير كل شيء , فهنا نريد وضع المنطق والعقل جانبا .

حتى الواحد يشير الى الصفر , والصفر يستقي تعريفه من الواحد , الحب والكراهية النجاح الفشل الخير والشر كلها مسميات عقلية لكي يفسر ويقسم ماحوله فيما هي مجتمعة مع بعضها .

هكذا أشار لاوتسيه في الطاوتسي وهكذا عبر هيراقليطس (الخير شر يزول , والشر خير يتلاشى) وهكذا صرحت الرواقية وبوذا من قبل وكذلك موسى وعيسى ومحمد .

أن تتحد مع الكل يعني أن تتخلص من التقسيم , وأن تتخلص من التقسيم يعني أن تجعل وعائك لا محدودا .

وعاء يحفل بالاختلاف ويستمتع به كما يقول جلال الدين الرومي (وجدت نفسي كالفرجار قدمي ثابتة على الشريعة والأخرى تلف كل الملل والنحل) وكما يقول راما كرشنا (كل الأديان طرق الى الله).

وعاء بلا عرق فالانسانية كلها من ذات المنبع , فلا وجود لفروق بين عرق دون الأخر ولا لون دون الأخر .

وعاء بلا أسماء فالمسميات تزيف الحقائق وتخلق وهما بالمعرفة وعالما زائفا وبالتالي ردات فعل زائفة , فمسمى قاتل يطلق على من يقتل العشرات أو حتى شخص واحد فيما من يقتل الالاف والملايين يكون جنرال ! .

وعاء بلا أنا زائفة , تلك الأنا التي تسعى للمنافسة والشهوة وغيرها من الأمور , فعالم الكل لا وجود فيه لأول وثاني فالكل يعني الكل .

وعاء بلا فكر محدد وبلا اتجاه , يتسع كما يتسع الكون وينهل من كل الأفكار وكل المصادر الممكنة ويصلي ويتعبد في معبد الجمال الالهي .

وعاء في جعبته صمت أكثر من الكلام , في جعبته تأمل أكثر من الفكر , يشع حبا لأجل الحب ولا ينتظر مقابلا .

هنا تكون شمس التبريزي أشرقت على روحك وحملتك الى التيه كما حملت الرومي من المنبر الى الرقص , فالرقص تيه كما الغناء تيه , كما العشق تيه , كما الحكمة تيه , كما الاله تيه .

عليك بالتيه , فالناي حينما يتيه عن جذعه يصبح ذا شجون , والفرد حينما يتيه يصبح نبيا ...



منذ البداية .....

هناك في أدغال افريقيا انطلق سـلفنا يبحث عن فريسـته ويبتعد عن مفترسـه , عين للأمام وأخرى ترتب كل الجهات حذره من كل حركة تدب هنا أو هناك .

فريسـة ومفترس لم تكن مجرد كلمات بالنسـبة للانسـان القديم , بل كانت تمثل بعد الحياة الذي يعيشها فلا وجود لغد أو ماضي كل ماهنالك الان فقط .

لا وجود لثنائية الخير والشـر ولا غيرها من الثنائيات , كل ماهنالك الان والان فقط فانعكس هذا جليا على أسلوبه وخلقه .

فلم يعرف الانسان القديم الأنانية واثار النفس والكذب وغيرها من الصفات التي أتت نتيجة للملكية .

فقد كان الانسـان القديم يشـترك مع من حوله في كل شـيء فالجماعة تحتاج الى أفرادها والأفراد يحتاجون الى الجماعة بشكل متساوي وهذا الحال لم تصل اليه دولا عديدة في أيامنا هذه .

جو من الأشـتراكية القديمة وحياة لا مسـاحة فيها لغير المهم أبدا , وانسـجام مع الطبيعة هكذا نستطيع أن نصف حياة الانسان القديم .

فتأثير اللحظة جعل من لغة التواصـل تقتصـر على ماهم بحاجة اليه من اشـارات وجعلت الانسان أيضا يقدس ضعفه ومخاوفه فكانت عبادة السيد الحيوان عن طريق طقوس يشترك فيها الكل عند ذبح الصيد كنوع من التكريم .

فلم يكن السـيد الحيوان الا انعكاسـا خارجيا لمخاوفهم الداخلية أو رغباتهم ونزعاتهم في المجتمعات الأكثر تحضرا كما قد يكون انعكاسا لمشاعرهم كآلهة الألويمب.

لقد كان الفرد منسـجما مع ذاته ومع الطبيعة كونه يعيش في اللحظة الآنية بلا أبعاد زمنية .

فآلهته وأخلاقه وتعامله مع الغير كلها نتاج حالته في الآن لذلك لم يكن الانسان القديم في حالة اغتراب عن ذاته بل كان في حالة انسجام معها .

اكتشاف النار ...

ياله من اكتشاف , مع أننا لا نعرف كيف تم هذا الاكتشاف على وجه الدقة ولكن نعلم أن فرويد فاته هذا الاكتشاف حين وصف اكتشاف كوبرنيكوس وداروين على أنهما أعظم اكتشافيين أثرا على مجرى التاريخ .

هل كانت أول شعلة جراء احتراق الغابات الطبيعي أم بفعل البرق ؟

لا يهم أكان السبب الأول أم الثاني المهم أن النار أساس بداية معرفة الانسان بالحضارة .

فالظلام لن يصبح مصدرا للخوف بعد اليوم ناهيك عن أن الطعام قد يتم تخزينه فالنار تستطيع اذابة الشحم , وكذلك أصبحت الشعلة سلاحا جديدا بيد الانسان أمام الطبيعة .

هكذا كانت النار تمثل تغييرا جذريا في مخاوف الانسان وآلهته التي يعبدها وطريقة نظرته الى الحياة وكيفية تعامله مع الأخرين .

لقد كانت النار أولى وأهم أسس البشرية في طريق الحضارة قبل جدل ويل ديورنت وأرنولد توينبي عن أهم العناصر التي أنشأت الحضارة ؟

أهي الأحداثيات الجغرافية لويل ديورنت ؟

أم التحديات والصعوبات لأرنولد توينبي ؟

ولكنهم نسوا دور النار المهم في نشأة الحضارة ...

طور الرعي ....

لم يكن التطور قد اكتمل من الانســان القديم أو الانســان الصــياد بعد حيث أن تحول الانسان هنا هو تحول في طريقة تعاطيه مع الحياة وليس تحولا داروينيا .

فقد يكون ماركس محقا في أن الانســان يسـعى الى تعزيز اكتفائه في طعامه وشـرابه كما يشـير الى ذلك أيضــا هرم أبراهام موسـلو ومع كل تعبير يحدث لحالة الانســان المادية يصاحبه تغيرات كثيرة في الأهتمامات واللاهوت والأخلاق .

فالانسان الصياد كان مفترسا ومفّترسا , ولذلك احتاج الى ((السيد الحيوان)) وكونه ينتمي الى كماشة طرفيها الحيوان وهذه الكماشة تجبر الانسان على النظر فيما يوجد بين يديه الان فقط .

فالفرد يحتاج الى الجماعة كما تحتاج الجماعة الى الفرد , ولا أعتقد شـــخصـــيا أن الانســان القديم كان يأكل الانســان حيث أن الحيوانات تأنف عن أكل بعضــها فطريا وان كان ذلك قد حصل فأعتقد أنه تم بعدما انتقل الاذسان الى الرعي وعرف الملكية والنزعات الفردية التي تثبت وجودها على حساب الطرف الاخر .

لقد كان تحول الانســان الى الرعي والزراعة تحولا كبيرا حيث بدأ الانســان يخرج من حكم الطبيعة له الى فرض سيادته عليها .

ومع أن الفلسفات الشرقية دعت الى الانسجام مع الطبيعة بدلا من اضاعة الوقت في فهمها عكس الغرب الذي كان ولازال يفرض سيادته على الطبيعة .

فالنظر في الطبيعة أنتج لنا بوذا ولاوتســيه وثمرتهما المشـــتركة بوذية الزن , فيما النظر في الطبيعة غربا انتج لنا حسـابات كوبرنيكوس وجاليله وكبلر ونيوتن ونسـبية آنشتاين وقبلها نظرية التطور .

وقد تكون حضارة اليوم معيارا لتنصيب الغرب كمتفوق على الشرق الاقصى مع أن معايير النجاح في الشرق تختلف عنها في الغرب .

فالشــرق يركز كثيرا على فهم الذات عن طريق التأمل العميق والزهد , فيما الغرب يركز على تحقيق الذات من خلال ميادين الحياة كالجوائزوكتابة التاريخ .

ولذلك يعتبر الغرب منتصـرا بالنسـبة لحواس الانســان أما بالنسـبة لذاته فالكفة تميل وبكل قوة الى الشرق الأقصى .

ولنعد الى الزراعة فمن غير المعلوم أيضــــا كيف انتقل الانســــان الى الزراعة او الرعي , فقد يكون بالمصادفة حينما استبقى أحدهم بعضا من الحيوانات ولاحظ أنها تتكاثر فبدأ بالرعي .

فيما كانت الحبوب والبذور تتســـاقط من يديه وهو في طريقه الى منزله وبعد مدة شاهد هذه البذور تنمو وكلها مجرد افتراضات لويل ديورنت .

ولكن الأكيد أن هذه التغييرات أنتجت أخلاقيات والهيات جديدة , فقد تم النظر الى الأنثى بتوقير كبير حيث أنها تمنح الحياة وتم تقديس الشمس وأصبح اله المطر وآلهة الخصب من أهم الآلهة كونها أهم مكونات وأسس الحياة بالنسبة للراعي والمزارع .

فيما انتشـرت الملكية مايعني الاستئثار والانانية واختفاء المشـاركة والبدأ في التفكير في المستقبل والنظر الى الأخر كأخر وعدو ودخيل مايعني قتاله وفي بعض الأحيان أكله كعلامة للنصـر قبل أن يفكر الانســان بطريقة أفضـل ويبدأ في اسـتعباد اسـراه وتسخيرهم في فلاحة الارض وقد كان هذا حلا أخلاقيا آن ذاك ! .

وبعدما كانت الاحوال تفرض على الانســان آلهته وأخلاقه , أصـبح الانسـان هو من ينتج آلهته عبر التفكير في كيف بدأ الخلق ومالغرض من وجوده ؟

تعددت أجوبته فكانت الاديان والفلسـفات المتعددة والتي تبدأ كأجابات ومن ثم تتحول الى هويات تقتات على الجدل والحروب لكي تبقى ! .

حينما خرج الانسان من اللحظة خسر ذاته وحاول كثيرا أن يصطنع ذات أخرى له , فتارة يبحث عن ذاته في الاشياء ويسعى لاقتنائها وتارة في أفكاره وتارة يتماهى مع ماحوله من ديانات وفلسفات وتوجهات تصبح المحدد الرئيسي لشخصه فيستحيل الى آلة في يد هذه المفاهيم .

وتارة يبحث عن ذاته في متواليات أسماء لا قيمة لها !

اغتراب الانســان عن ذاته كما يسـميه هيجل بدأ من تلك اللحظة التي انتقل الانســان فيها من عيش اللحظة الى التعاطي مع الزمن ادراكيا (ماضــي-مســتقبل-حاضــر) ولذلك طالب سارتر الى العودة والاندماج مع الطبيعة تماما كما نادى الشرق من قبل , فالسعادة من جنس كلي فكيف لنا أن نبحث عن السعادة في الجزئيات ؟

أثر الحضارة على الذات

(تعال لتزل الســتار عن ذاتك) هكذا صـــاح أحد البراهمة منذ أمد طويل , (اعرف نفسك) اصاغها سقراط أم قرئها على جدار معبد دلفي لا يهم بقدر مايهم أنها شعار أثينا الأول في عصرها الذهبي .

(الحياة عجلة خرجت عن مسارها فأصبح محورها خاطئا) هكذا يصف بوذا الحياة , (لم نعرف كيف نحيا فلما نفكر بالموت) هكذا تعجب كونفوشـــيوس من التعلق بالمستقبل ! , (بالقليل تكسب , بالكثير تتعثر) هنا لخص لاوتسيه الحكمة كلها .

كل هؤلاء اختلفوا في أماكن وأزمنة تواجدهم ويتفقون على أن ماحول الانســـان من مظاهر الحياة ليست حقيقية ولذلك على الفرد أن يبحث عن ذاته .

فالسعادة أسمى مايرومه الفرد من جنس لا ينتمي الى هذه المظاهر النسبية .

فالجسد نسبي والمال نسبي وكلاهما يعتمدان على الارقام التي تبدأ وتنتهي وتتحول وتتغير مايعني أن السعادة المرتبطة بها تتبدل باستمرار .

ومن هو معروف هنا مجهول هناك , ومن في السـلطة اليوم لم يكن بها بالأمس ولن يكون في الغد والكرسي الواسع أول الشامتين بأهله كما أشار الرواقي بويثيوس .

فالحضـــارة جعلت الانســان يطارد الســراب ويخاف من الســراب, قلق على ماتخفيه الأيام وقلق من جاره وينافس الاخرين على البقاء من خلال تخطيهم ! .

أحد علماء النفس أحضر مجموعة من المتسابقين واعطى كل فرد منهم بالونا وطلب منهم الحفاظ على البالون الى نهاية المدة .

وما ان بدأ في العد حتى بدأ المتســـابقون في فرقعة بالونات بعضـــهم وحينما انتهت المدة قال لهم (لقد كان بوسعكم الفوز جميعا لو بقى كل فرد هادئا في مكانه) !.

ان طابع الحضــــارة فردي في جوهره , فالفرد يبحث عن ذاته ولا يردعه الا القانون , فيما الجنس البشـري كجنس يعيث في الأرض فســادا فلا مخلوق أقوى منه يفرض عليه القوانين .

فهذا الحيوان ذا القدمين أصـــبح خطرا على كوكبه فهو يرى ذاته أحق بالكوكب من الكائنات الأخرى فقط لأنه الأقدر ! .

ومع أن طابع الحضـــارة أنثوي الا أن قيادتها الحقيقية ذكورية ما أدخل الانســـان في حالة تيه وحيرة على مسرح الحياة كما يسميه سارتر .

فطابع الدلال للحضارة كان من المفترض أن يجعل الانسان يميل الى الالفة والمحبة والسلام ولكن الذي حدث هو العكس ! .

فعلى مدار 3421 سنة 68 عاما كانت خالية من الحروب كما يقول ويل ديورنت !

فان كان هذا يشير الى شيء فانه يشير الى أن هناك خطب ما في أسس الحضارة لدينا , وهذا الخطب هو مايجعل الفرد ميالا الى نبذ الاخر تارة باسم الدين او باسم الوطن أو باسم فريق كرة قدم ! .

ولو تأملنا حولنا سنجد طابعين لمخلوقات عرفت التحضر قبلنا وهما النحل والنمل .

فالنحل يعمل بانسجام كامل مع الطبيعة ويؤدي وظيفته بلا كلل وكذلك النمل الا أن النمل يعمل لذاته وليس لغيره كالنحل المنتج للعسل .

لذلك نرى النحل يستعبد ويقتل بني جلدته وبدلا من أن يعتبر الانسان نراه يسلك في حضارته كالنمل لا النحل ! .

ولو تأملنا القرآن سنجد أسماء ثلاث كائنات كأسماء سور (النمل – النحل – العنكبوت) وأيضا الفيل ولكن علة تسمية سورة الفيل لاحتواء السورة على قصة الفيل .

فالنمل والنحل والعنكبوت يقدمون لنا ثلاث أوجه من أوجه الحضارة

النمل : النزعة الشوفينية والعمل لاجل الجماعة فقط .

العنكبوت : براغماتية وجودية تبدأ من أول ثانية حيث الانثى تقتل الذكر والصغار يتغذون على والدتهم ولذلك تم وصف بيت العنكبوت كأوهن البيوت .

والنحل : عمل داؤوب متفاني لمصلحة الغير وانسجام مع الطبيعة .

فانتاج العسل وتلقيح النبات أعمال تعود بالفائدة على الكون كله عكس النمل الذي يفيد جماعته والعنكبوت الذي لا يأبه الا بذاته .

حتى أن النحل لا يهاجم الا دفاعا عن النفس عكس النمل الذي قد (يفتح) مستعمرات أخرى ولا أدرى ان كانوا يستخدمون هم أيضا شعارات للتدليس كرغبةالاله أو الاكتشاف في غزواتهم المباركة مثلنا ! .

ولذلك النزعة الفردية والجماعية نتاج عدم معرفة بالذات وتنتج تملكا وسعيا حثيثا نحو التملك الذي يعتبر أخشن أنواع الستر والحجب التي تحجب الانسان عن ذاته الحقيقية .

لقد تفطن بوذا ولاوتسيه وكونفوشيوس وسقراط والمذهبان الفلسفيان الرواقية والكلبية وحتى الابقورية والأديان السماوية الى هذا الخلل الأساسي في الحضارة ودعت الانسان الى التسامي فوقه .



الانسان في فلسفات الشرق

الانسان في فلسفات الشرق الأقصى

لا أعجب من شـروق الشـمس من جهة الشـرق وان كانت هذه الجملة مجرد جملة توصيفية خالية من المعنى العلمي حيث الشمس بالنسبة للارض ثابتة والارض هي من تدور .

ولكن لطالما أشرق الانسان من الشرق , شروق لم يتحمله بارون الشكاك حينما كان برفقة الاسكندر فتأثر كلاهما فعاد بارون شكاكا والاسكندر الها ! .

حاول الاسـكندر أن ينشـر الثقافة الهيلينة في العالم القديم مع أنها لا تزال وليدة ولا أدرى لما الانسـان الأوروبي يحاول لعب دور البطولة دائما ولكنه ذهب بلباسـه الروماني وعاد بلباس كسروي ! .

فهكذا دائما الأكبر والأوسع يحتوي الأصغر والأقل فاحتوى الشرق الغرب .

فافلسـفات الشـرق الاقصـى عملت على شـروق الانسـان من الداخل لا من الخارج فكانت النيرفانا والانسـجام مع الاتمان والـــ(تي) والطاو فكلها مسـميات مختلفة لحقيقة واحدة وهي المطلق ازاء النسبي .

فالانسجام مع الـــ(تي) والطاو والاتمان وبلوغ النيرفانا كلها تصب في نهر معرفة الذات الحقيقية ونبذ الأنا الكاذبة .

وبخلاف مايتردد عرف الشرق اللاواعي قبل الاف السنين يافرويد !

وأن لكل شـيء أصـلا واحدا قبل داروين وعالج كونفوشـيوس المجتمع قبل علم الاجتماع وتكلم لاوتسـيه ومونشـيوس عن كيفية سـياسـة الشـعوب قبل مكيافيلي وبواقعيه خيرية لا بواقعية مكيافيلية !

والان بدأت الأعين تتجه الى الشرق مع أن الشرق فقد الكثير من روحه مع حملات الاستعمار الاسلامي والبريطاني له الا أن روح الشرق هو ماينقص عالمنا اليوم ...

الانسان في الهندوسية

تعتبر الهندوسية من أعمق الفلسفات التي عرفها العقل , فالهندوسية حاولت الغوص في بحر اللاواعي قبل فرويد بالاف السنين وبحثوا في سر عذابات الانسان .

فالانسان في الهندوسية يتكون من جزء مطلق وهو الاتمان وهذا الجزء تم حجبه عن طريق ملهيات الحياة واهتماماتها .

وتكمن مهمة الهندوسـية في الاندماج مع الاتمان عن طريق معرفة هذه الحجب التي تحجبه وتفنيذها ومن ثم نبذها والوصول لحالة السلام الداخلي .

فالانســان في هذ الحياة يمتلك رغبات وهذا شــيء طبيعي ولكن من غير الطبيعي أن يبحث الانسان عن السعادة المطلقة في هذه المغريات والملذات .

فالملذات الحسية كالطعام والشراب والجنس نسبية ان تم الافراط في التعاطى معها أهلكت الجسم وكذلك في حالة النقصان ولذلك تبقى الملذات من جنس نسبي والسعادة المرتبطة بها سعادة نسبية .

وقس على ذلك الملذات المعنوية كحب المال والجاه والســلطة , فالمال يزيد وينقص فهو نسـبي فيما الشـهرة والسـلطة كل من يمتلكها يحتاج الى من لا يمتلكها لكي يثبت امتلاكه لها ! , وهي تنافسـية لا تدوم لصــاحبها لذلك تبقى هي كذلك نسـبية ولا يعقل أن نطلب السعادة الدائمة من خلالهما ! .

لذلك أقترحت الهندوســية الطريق الثاني وهو الزهد والذي لا يعني ترك الحياة بقدر مايعني ترك اللذة النسبية للذة مطلقة .

فـالروح تمر بمراحل من الحيوات المختلفـة تبـدأ بـالنبـات فـالحيوان ومن ثم تنتهي بالانسان فتستمتع بجسده حتى يخطر على باله السؤال المهم " وماذا بعد ؟ " .

فالانســان يمر بمرحلة المريد فرب المنزل فالعزلة وأخيرا مرحلة الســانياســين وهنا تكون السماء سقفه والأرض فراشه .

وخلال المرحلتين الأولى والثانية سيعتري الانسان الألم الجسدي ويمكن التعالي عليه عن طريق معرفة أنه مؤقت , والألم النفســي الناتج عن الملذات المعنوية والضـــجر من الحياة حيث أن هذه المشـاكل تواجه الانسـان وعليه ان يسمو فوقها ويجد حلا لها .

- **خلاص الانسان** :

ان مسـرح الحياة كما يقول روسـو يفرض على البشـر أدوارا معينة لا تلبث طويلا حتى تستحيل الى هويات تفرض على البشر التماهي معها .
هذا التماهي هو سـبب البؤس والظلم في الحياة حيث ان حقيقة الانسـان والتي هي جزئه المطلق تم حجبها بهذه الادوار .
فهذا أمير وذاك وزير وهذا اسـكافي وذاك فلاح , كلها أدوار لعبت الظروف دورا كبيرا فيها ولو اختلفت الظروف والأقدار سـتختلف هذه الادوار ولهذا فهي غير حقيقية وعلى الأنسان يدرك ذلك ويبدأ في استكشاف باطنه .

- **وكيف يكون ذلك ؟**

وضـعت الهندوسـية اليوغا كطريقة عروج أشـبه ماتكون بجدل أفلوطين الصاعد .
فهي مجموعة خطوات تقربك من الذات الحقيقية .
واليوغا تنقسم الى :

1- الجنانا يوغا : يوغا المعرفة .
2- البهكتي يوغا : يوغا المشاعر .
3- يوغا العمل .
4- راجا يوغا : اليوغا التطبيقية .

وعلى كل فرد أن يختار اليوغا الذي تناسـبه , حيث الهندوسـية تدرك الفروقات في الادراك والمهارات بين البشـر ولهذا وضـعت أنواعا مختلفة من اليوغا .

1- **الجنانا يوغا** :

وتكمن في معرفة الحد الفاصـل بين الشـخصـية والاتمان وتعمل على فهم الانسان والكون والتعاطي مع اشكالاته .
وهي يوغا لمن يحب التفكير والفلسفة .

2- **البهكتي يوغا** :

تركز على العلاقة بين الأتمان والمريد وبمعنى أصح تبحث في علاقة الأنسان مع الروح المطلقة .
وهي يوغا تركز على المشـاعر ويغلب عليها التصـوف حيث أن المريد يرى المطلق كصديق ومن ثم كأم ومن ثم كمثل أعلى .

ويتم ترديد اســم المطلق والتأمل فيه بشــكل مســتمر لذلك يغلب على متبعيها الانعزال والتصوف .

3- **يوغا العمل :**

حيث يرى أ هل العمل أن أعمالهم ترتبط بالمطلق فيعملون بكل جد ويرون أعمالهم طريقا الى المطلق .

و هذا النوع قد يكون متهما في جعل نظام الطبقات نظاما وراثيا .

4- الراجا يوغا :

وتكون بخطوات مدروســـة ان طبقت باتقان ســـتقود المريد الى حالة التنور وأثرت هذه اليو غا في البوذية والطاوية بشـــكل كبير بل ان سـودهارتا كسـيامي مارسـها بحثا عن التنور ورغم أنها سـاعدته على التحكم في افكاره وغرائزه الا أنه انتقدها فيما بعد .

الانسان في البوذية

قبل أن نبحث عن الانســـان في الديانة البوذية علينا معرفة القليل عن حياة صاحب هذه الفلسفة .

ســودهارتا كســيامي أو جودتما الشــهير ببوذا , ابن احد الأقطاعيين الكبـار وتم تزويجـه من أميرة جـارة لـه وعمره لم يتعـدى 16عـامـا وأنجب منها ابنا يدعى راهولا .

يقال أن والداه جلبا كهانا الى المنزل ليستشفوا مستقبل الفتى , فبشـر الكهان بأن ابنهم سيكون اما فاتحا أو زعيما روحيا .

وككل الاقطاعيين لم ترق لهم فكرة الزعيم الروحي ولكن راقت لهم فكرة التوســع فتم عزل كل ماقد يفضـــي الى جعل ســودهارتا زعيما روحيا .

وذات يوم خرج في رحـة صـــيد روتينيـة وكـان الحراس يتقـدمون الموكـب كمـا جرت العـادة لازاحـة كـل مـاقـد يكـدر ويعكر مزاج سودهارتا .

ومع ذلك رأى سودهارتا في رحلته جثة انسان وامرأة بلغت من العمر عتيا وناسك ومريض يتأوه من الالم .

لم تكن مجرد حالات طبيعية بالنســبة لســودهارتا الني اعتادت عيناه رؤيـة مبـاهج الحيـاة فقط وهـاهو لأول مرة يرى الجـانـب الاخر من الحياة .

ترك سودهارتا قصره وأنطلق مع السانياسين ممارسا معهم أشد أنواع الراجا يوغا لكي يصل الى حقيقة الحياة .

لم يصـل لشـيء رغم أنه كان أفضـلهم وأشـدهم على نفســه , فتركهم وأتجه الى شـجرة لكي يرتاح في ظلها وهناك استحال سـودهارتا الى بوذا والتي تعني المستنير .

- **الانسان في البوذية :**

يجب أن نفهم خلفية بوذا الهندوســـية لنفهم فكره أكثر , حيث أن الهندوســـية وكل الفلسـفات والأديان تكون أجمل مايكون في الكتب ونقيض ذلك تماما في الحياة العملية .

فمبدأ الكارما (لا مجال للصـــدفة فكل حدث نتاج علة ما قد حدثت قبل ذلك) امتزج مع نظام الطبقات الذي فرض ليحمي محدودي القدرات من جشـــع من هم أفضـــل منهم , وكذلك ليصـــنف البشـــر حســـب قدراتهم وتكون مهامهم ومكافأتهم متوازية .

ولكن هذا النظام استحال الى نظام جبري وراثي ! , فابن الفلاح يصبح فلاحا ولو كانت قدراته تؤهله ليكون في مكانة أعلى ! .

فلقد تعاون البراهمة (الفئة المســـؤولة عن الدين) ككل كهنة الاديان مع الحكام في حفظ وتوارث المراتب بل حرموا التزاوج بين الطبقات المختلفة لتخرج لنا نظاما يجاري (الأبارتايد) في العنصرية !

لم تعد الأرض أرضا للانسان هكذا بدأ بوذا تأملاته .

فبوذا يرى أن عجلة الحياة خرجت عن مســـارها فأصـــبح محورها محورا خاطئا , وعلى الانسان أن يعيدها الى الطريق الصحيح .

فيما كيفية اعادة الحياة الى محورها تكمن في معرفة وادراك زيف الانا ومتطلباتها النفسية والجسدية وادراك أن الجسد نسبي والتخلص منه للاندماج مع المطلق .

وبالاضافة الى معرفة زيف الأنا يجب معرفة أن الحياة عبارة عن ألم ويتعين على الفرد معرفة مســـببات الالم ومن ثم معرفة فحوى تلك الرغبات التي تسير الجسد وتجلب الالم أكانت جسدية أم نفسية .

وبعد ذلك نصل الى الطريق ذي الثماني شعب :

1- المعرفة الصحيحة
2- المطمح الصحيح
3- القول الصحيح
4- السلوك الصحيح
5- وسائل العيش الصحيحة
6- الجهد الصحيح
7- الوعي الصحيح
8- التركيز الصحيح

وكل شعبة من هذه الشعب لها تأثير مباشر على حياة الفرد .

فلقد كان بوذا معالجا للالام متتبعا منابعه , فرأى أن الالم نتاج رغبات وجب التخلص منها أو سـلطة دينية جعلت من الحياة جحيما لا يطاق فنبذ وجود اله يعذب البشـر وأكتفى بالتسـامي مع المطلق الذي يجلب الطمأنينة ونبذ الطقوس والقصـص الخرافية والحياة الأخروية التي لا تعذب الا الفقراء وتترك الأغنياء لظلمهم ! .

لقد كان نفي الاله نتيجة التطبيق العملي للهندوسـية والذي لم يشـفي الالم بل زاده بشكل أكبر .

ومن الخطأ القول أن بوذا وتعاليمه خالية من الاله حيث أنه نبذ فهم الهندوس للاله وأوجد فهما أخر لا يمكن التعبير عنه ولكن يمكن الوصول اليه (النيرفانا).

ومع أنه نبذ الطقوس والموروث الى أنه لم يلبث طويلا حتى تم نسب موروث اليه (شـريعة بالي) واحياء طقوس له وانقسـام متبعيه الى تيرافادا وهم أصـوليون , والماهيانا وهم من ينتمون الى روح تعاليم بوذا لا حرفها , وبوذية التبت (الفاجرايانا) وبوذية الزن والطريق الماسي .

لقد كان بوذا مجسد لأولى ثورات الانسان في وجه الأنا والسلطة الكهنوتية , ورسولا يدعو الى الانسجام مع المطلق .

لقد كانت ثورة الانسـان الأولى ولكن لم تكنِ الأعظم كون مكانة سـودهارتا كسيامي أو جودتاما ساعدته بصورة أو بأخرى في نشر أفكاره واتباع الناس له .

الانسان في الطاوية

لم يتكلف لاوتسيه كثيرا في حياته , فقد قدم كتابه لحارس استوقفه وهو في طريقه الى الهجرة طالبا منه خلاصة خبرات حياته فكتب لاوتسيه (الطاو تي شينغ) .

لا يعرف أكان لاوتسيه شخصية حقيقية أم مجرد شخصية أسطورية تم نسب الكثير من الأفكار اليها على غرار هوميروس ولكن يقال أن لقاء حدث بين لاوتسيه وكونفوشيوس جعل كونفوشيوس يقول (ياله من غريب يستحق الاحترام) ! .

ولو تأملنا الطاوية سنجد أنها تطبيق وطريق حياة أكثر من أن تكون تعاريف أرثوذكسية ولاهوت .

فهدفها الرئيسي هو التماهي مع الطاو الذي يوجد في كل شيء وفي كل زمان ومكان ولا تقدر اللغة على وصفه .

والطاو مطلق والسعاد تكون في التماهي مع الطاو مايعني أن الالم يكمن في الابتعاد عن الطاو والتماهي مع الجسد النسبي وملذاته النسبية

وهنا نرى وللمرة الثالثة بعد الهندوسية والبوذية أن الألم نتاج التماهي مع الجسد وملذاته النفسية والجسدية وعدم معرفة وهم هذه السعادة النسبية .

(يتحطم الجيش حبنما يصبح قويا , وتتكسر الأشجار حينما تصل لعلو باسق)

هنا نستطيع استخلاص مايعنيه وهما اليانغ والينغ حيث الأشياء واحدة ولكن ادراك الانسان هو ما يجزأها .

ولهذا ينبغي على الفرد أن يبتعد عن ظاهر الحوادث وينظر بعين بصيرته الى الأعماق لا بصره .

وأخيرا نختتم مع هذا الحكيم الذي صاغ أفضل عبارة تصف الحقيقة :

(الكلمات المخلصة لا تكون رقيقة , والكلمات الرقيقة لا تكون مخلصة) ..

فالكلمات التي تريد تغيير الواقع لا يمكن أن تكون رقيقة بل يجب أن تكون قوية لتزعزع أركان الدعائم القديمة وتجهز أرضية جديدة قابلة للافكار الجديدة .

فمن يريد مصلحتك ينقل لك الحقيقة كماهي , ومن يريد خلاف ذلك سيتجه الى المدح والى الكلام المنمق ..

الانسان في الكونفوشيوسية

قد يكون كونفوشيوس الوحيد الذي لم يفرق بين الروح والجسد في الفرد ولكن فرق بينها في المجتمع وأفكار المجتمع .

فالانسان عند كونفوشوس عليه أن يحكم ذاته وأن ينسجم مع الكل فتكون أفعاله ذات نفع للأخرين .

فالصين قبل كونفوشيوس كانت تعاني من النزعة الفردية والشوفينية المفرطة للمناطق والامارات المتحاربة ما مزق وحدتهم ودفن عاداتهم وتقاليدهم .

ومن هنا كان تأثير كونفوشيوس والذي أراه أول عالم اجتماعي حيث أنه حلل مشكلة تأخر الصين ووضع خططا عملية لحل هذه الاشكالات .

فوضع مبدأ الــ (لي) الذي يرتكز حول الطاعة للأفضل وليس للأكبر كما يشاع , ومبدأ الـ (تي) والذي يتمحور حول السلطة وصفات القائد وأهمها معرفة الذات .

وهاتان الصفتان الـــ (لي) و الـــ (تي) تجعلان من الفرد شخصا رشيدا وتجعل المجتمع مجتمعا منتجا ذا قيم ومبادئ .

وكون كونفوشيوس كان يبحث حول الاشكالات التي أنتجت الحروب توصل الى أهمية تفريغ طاقات الانسان السلبية بشكل سلمي ومفيد فوضع الـــ(وين) وهي الفنون والميدان الوحيد لتأكيد أفضلية شخص على أخر أو أمة على أخرى .

ووضع كونفوشيوس المحاربين في أدنى المراتب الاجتماعية فيما وضع لاوتسيه العلماء في أعلى المراتب الأجتماعية و هذا الترتيب ساهم في الحفاظ على الفكر الصيني بشكل عام والكونفوشيوسي بشكل خاص على مدى 18 قرنا كون تعاليم كونفوشيوس تعاليم عملية استحالة الى عادات وتقاليد في المجتمع عبر نقلها من العقل الواعي الى اللاواعي عبر ممارسات روحية .

وهنا نرى الانسان في الكونفوشيوسية يتواصل مع من حوله باحترام ويعاملهم كما يحب أن يعامل ويبذل للغير مايبذله لنفسه .

والخطيئة عند كونفوشيوس هي ذاتها عند بوذا والهندوسية ولاوتسيه وسقراط وهي الجهل بالذات الحقيقية والتماهي مع الجسد وملذاته .

ومما يؤخذ على كونفوشيوس أنه قدم أفكاره في قالب العادات والتقاليد مع أنه أكد أن العادات والتقاليد يجب أن يأخذ منها المفيد وينبذ غير المفيد وعلى المرء أن يعرف ذاته وهذه رحلة فردية غالبا ماتكون خارج المجتمع وعاداته وتقاليده ....

ثورة الذات الحقيقية

هل كان الانسان يحتاج لثورة ؟

فالهندوسـيـية والبوذية والطاوية رأت الحل في التماهي مع الطبيعة ليصـل الى حالة السلام الداخلي .

ولم يكن بوذا ثوريا بالصورة الكاملة رغم أنه ثار على تعاليم الهندوسية ولكن مكانته الاجتماعية أيضا ساعدت بشكل أو بأخر في انتشار فكره .

فيما كان لاوتسيه منزويا وكان كونفوشيوس اجتماعيا يبحث عن أفضل السبل التي تساعد في دمج الفرد مع مجتمعه .

لذلك لم يثور الانسـان بعد وكأنه انتظر ذاك الصـبي الذي كان يسـاعد أباه في صـنع الأصنام لتعبد ! .

التقطت عبقرية الصبي هذا التناقض , فالصغار دائما مايكونون عباقرة حتى يتماهوا مع تعاليم مجتمعاتهم البائسة ويتوقفون عن طرح الأسئلة الغريبة والمريبة .

نظر الفتى وتسائل :

هل ماصنعت بيداي يملك قدرات أفضل مني ؟

بالطبع لا

هنا خطى خطوته الأولى لسـتكشـاف الحقيقة وأتبعها بأهم خطوة وهي الابتعاد عن المجتمع .

هناك أعلى سفح الجبل في ظلمة الليل وقف الصبي ينظر ويقلب بصره لعله يجد ما ينير بصيرته .

هناك أعلى الجبل رأى الكواكب والنجوم فظن أنه وجد الحقيقة مع أول نجم ولكن النجم لم يلبث طويلا مايعني أنه يدور في فلك النسبي كما أدور في ذات الفلك .

ومن ثم رأى كوكبا فقال : عجيب هذا أكبر وابتسم الصبي ولكن لم تدم معانقته لوهم الحقيقة طويلا حيث رأى قمرا يشـق الظلام بنوره فنزع ثوب الألوهية من الكوكب وألقاه على القمر .

وهنا تسائل الفتى هل الاله يخضع لمعايير تحدد ماهيته ؟

أطال الفتى السـهر قرب الهه ولكن الهه تركه وأفل , فغضـب وحزن وزادت حيرته وزاد شوقه لمعانقة الحقيقة .

راقب الهه وهو يختفي شـيئا فشـيئا وكأنما هناك شـيء ما قد احتواه بالكامل حتى اختفى كليا وبزغت الشمس في أبهى حلة سحرت فؤاد الصبي فصاح هذا هو المعبود الحق واحتفل وابتهج بالنظر الى الهه حتى بدأت الشـمس تختفي أيضـا فانقبض فؤاد الفتى ولكن مع ذلك أيقن أن تلك الحجارة لا تملك من أمره شيئا .

عاد الفتى النبيه الى مزاولة حياته وعاد يبيع الأصنام وهو ينادي " من يشتري ما لا ينفع ولا يضر ؟"

لم يلتقي الفتى بالحقيقة بعد ولكنه أدرك أن الحقيقة الأسـمى يجب أن تكون مطلقة لا تدور في فلك النسبي أبدا .

وفي يوم العيد الأكبر خرج الكل الى المحفل ماعدا الفتى فمن يبحث عن الحقيقة لا تغريه الدنيا بما فيها فتعذر بالمرض .

وما ان غاب الجمع حتى ذهب الى المعبد ووقف يخاطب الأصـنام لكي يبرهن على صحة أفكاره فلم تنطق فبدأ بتحطيمها علها تدافع عن نفسها وأيضا لم تفعل ! وبعدما حطم بعضها علق الفأس على كبير الأصنام وخرج .

عاد الجمع وأحجار الهتهم تتناثر في كل مكان , فتسائلوا :

هل أتى مردوخ ودمر المعبد ؟

أم أن كبير الأصنام هو من فعل ذلك وسلاح الجريمة في يده ؟

غاص الجمع في تفكير عميق حتى قاطعهم أحدهم وقال (سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم) !

تم احضار ابراهيم فوقف بين حطام الهتهم وخاطبهم مستكرا :

أترون الفأس في يدي أم في يد كبيرهم ؟

فقالوا :

ولكنك تعلم أنهم لا يقدرون على ذلك !

تعجب ابراهيم واستنكر :

فلما تعبدونهم اذا ؟!

ساد الصمت المكان , الكل يفكر في كلام الفتى ومن ثم قرروا قذف الفتى في النار !

تم اقتياد ابراهيم الى النار , لم يجزع فمن يموت في ســـبيل البحث عن الحقيقة يعتبر بطلا ويحيا أكثر من جلاديه .

قذفوه في النار ! هكذا بلا منطق وبلا محاولة الرد على الحجة قذفوا الفتى في النار !.

فالفرد حينما يكون في وســـط مجموعة يكون ميالا الى الهمجية أكثر من المنطق فيفعل مالا يقدر على فعله منفردا !

ولذلك اجتماع الرأي يشير الى الخطأ لا الى الصواب

وهذه الاجماع تحول الى صنم ان مسسته سيكون مصيرك ذات مصير بطلنا الذي قذف في النار ! .

انفض الســـامر وترك ابراهيم في النار , لم يعرف الهه ولكنه بحث عنه ودفع حياته ثمنا لمعرفته .

ابراهيم في النار هكذا كانت نهاية الحكاية بالنســـبة للجموع والتي منذ الأزل والى يومنا تستخدم القتل او النفي لكل من يخالف فكرهم .

لقد كانت نقطة النهاية للجموع وافتتاحية علاقة ابراهيم بربه , هناك في النار التقيا حيث قال الاله للنار كوني بردا وسلاما على ابراهيم لتبدأ قصة الأديان السماوية مع سلالة هذا الثوري .

لم تكن ثورة ابراهيم على ســـومر فقط بل على الفهم الســـائد في العالم القديم بأن الطبيعة قوى يجب الحذر منها وان نفى لاوتسيه ذلك ولكنه لم يثر كأبراهيم .

فابراهيم رأى أن كل ما في الكون محكوم بأنظمة مســيرة من الاله وكل الموجودات تخضع له وأن الانسان هو اساس هذا العالم وهذه الفكرة واضحة في الغرب وعليها ترتكز حضـــارة اليوم فيما غابت هذه النظرة للكون عن المشـــرق فلم يكتمل بناء صرحهم الرائع .

وقد يكون ابراهيم الشـخصـية الوحيدة الذي جمع ثلاث طرق تفكير في قالب واحد , فحينما أراد البحث عن الحقيقة اتجه الى الطبيعة وحاول الانسجام معها

ومن ثم تسـائل عن سـبب التغير المسـتمر الطارئ عليه واختلاف احجامها ولكنه لم يصغ معادلة رياضية بل ذهب باتجاه ماورائي وهنا تكمن روعة هذه الشخصية .

قد يرى البعض أن شـخصـية ابراهيم شـخصـية خرافية وهناك أبحاث تدور حول هذا الموضوع ولكني أريد أن أفهم

لما الشـكوك تحوم حول الشـخصـيات ذات الأثر العظيم كبوذا ولاوتسـيه وابراهيم وعيسى ومحمد ؟

مع أننا لا نرى أبحاثا تقول أن جانكيزخان مجرد شخصية خيالية !



أو كاليجولا مجرد قصة تحكى في تجمعات السمر !

أو أن نيرون وأتيلا الهوني مجرد قصـــص كـانـت الأمهـات تحكيهـا لأطفـال أثينـا لاخافتهم !

وكأننا نؤكد أن الأنســان ميال الى الشــر أكثر منه الى الخير فنفرح بتقصــي قصـص يوليوس وقوروش ورمسـيس وعائلته ولكن ننظر بعين متوجسـة لكل شـخص يتوسـم الخير ! .

فآنشـتاين أحس بهذا حينما نعى المهاتما غاندي وقال أن العالم سـيشـك في ان انسـان مثل غاندي كان موجودا يوما ما ! .

الانســانية تحتاج الى هذه الشــخصــيات حتى تعيش في ســلام فيكفي أن الظلمة من الرعيل السابق والرعيل الحالي قتلوا ونفوا هذه الشخصيات وكتبوا التاريخ كما يحلو لهم فكيف نسدي خدمة لهم بالتشكيك بوجود مثل هذه الشخصيات التي تقض مضاجع الظلمة ! .

عالمنا اليوم أحوج مايكون لشـخص ابراهيم الفتى الثائر الذي أراه أفضـل شـخصـية انسانية وجدت الى يومنا هذا .

لقد ثار ابراهيم بمفرده ومن ثم ترك لنا اليهودية والمسـيحية والاسـلام وأجزم أنه لو كان موجودا اليوم بيننا لثار على هذه الديانات ولقذف في النار أيضـــا في الجموع التي حكمت عليه وعلى سقراط هي ذاتها لم يغير الزمان فيها الا قليلا ...



الانسان في فلسفات الغرب

الانسان في فلسفات الغرب

لا وجود لاختلاف كبير بين مواضيع الفلسفة والأديان , حيث أن كليهما يقدم اجابات لأسئلة خالدة تتعلق في ماهية الانسان ومن أين أتى وماهو مستقبله .

فالانسان والحياة نسيج واحد , فان اضطربت الحياة نرى الانسان يبحث عن معنى وجوده !

وان استقرت الحياة نرى الانسان يحلل مايراه حوله ويتسائل عن الكيفية التي أتى بها وكيف بدأ الكون .

فقضية قدم الانسان على القوانين الأخلاقية كانت رأس الجبل الظاهر من الاشكالية التي وقعت بين سقراط والسفسطائيين حيث أن الجزء الأكبر من الاشكالية يبحث عن ماهية الانسان .

فان كان جسدا ماديا كما قال الفلاسفة الطبيعيون كأنبادقوليس وديموقريتس وأنكساغوراس ستكون القوانين الأخلاقية من وضعه هو .

وان كان هناك جزء أخر للانسان غير الجسم المادي , فهنا الأخلاق تسبق الانسان وعليه أن يتبعها .

لقد كانت الاشكالية أعمق من أن تكون مجرد جدل عابر حيث يناقش تاريخ الانسان وماهيته وسلوكه الذاتي ومع الأخر .

وأشار السفسطائيون الى أن الانسان هو من ينتج القوانين وكذلك هو من انتج آلهة الألويمب فوافقهم سقراط في هذا ولكنه بعدما هدم الصرح القديم وضع الفضيلة كأساس للانسان .

فسقراط وقف أمام السفسطائيين مؤكدا أن الفضيلة تكمن في قرارة كل فرد وعليه أن يعرف ذاته الحقيقية ليعرف الفضيلة .

لقد كان سقراط مبددا لوهم المعرفة الذي سنتحدث عنه الناتج من استخدامنا للغة

حيث أننا نعتقد أننا نعرف الشيء فقط بمجرد معرفتنا لمسمى هذا الشيء وهذا الوهم سيتبدد بعد بضع أسئلة حول ذلك الشيء .

وبعد سقراط والسفسطائيين أتى تلميذ سقراط أفلاطون مؤكدا على كلام معلمه أن الانسان روح وجسد وأن الخير كله يكمن في التعالي على الحواس والشهوات والتفكر في الذات حتى الوصول الى عالم المطلق عالم الأشكال الكاملة حيث توجد الأشكال الكاملة لكل مافي العالم .

فيما تلميذه النجيب والمتمرد أرســـطو رأى أن الانســـان كائن ميكانيكي ولكن يملك روحا وان لم يوضـــح كنه الروح ولكن يبقى قوله هذا كفيلا بالتمييز بين رأيه ورأي توماس هوبز .

فالانسان عند ارسطو جزء من منظومة ميكانيكية تتحرك بشكل منتظم ولغاية ما .

وأرسطو يعتبر من أهم الشخصيات التي أثرت على الفكر الغربي حيث أنه أول من لم يكتفي بالتفسير بالتأمل فقط فبدء بالملاحظة والتجربة وان كان بشكل غير مباشر ووضـع أسس الصـرح العلمي الذي سيهز أركان الكنيسـة فيما بعد ويفتح أفاقا جديدة في العالم القديم .

ومع فرار أرسطو من أثينا وخسـارتها لسيادتها لصـالح المقدونيين وفشل ثوراتها , بدأ الانسان يتسائل عن سبب وجوده وماهو الهدف الأسمى من الحياة ..

الحقبة الهلنستية

دخلت أثينا في حروب مع المقدونيين واسبارطة انتهت الى فقدانها لسيادتها .

وبعد عدة ثورات فاشلة ساد جو من الاحباط غير موازين نظرة الانسان من التفكر فما حوله الى التفكر في مصيره وذاته .

قد يكون ماركس محقا بشكل نسبي حيث أن التساؤلات النابعة في حالة الرخاء غيرها في الشدة واختلاف التساؤلات يعني اختلاف الاجابات .

ولذلك ظهرت عدة أجوبة غدة فيما بعد مذاهب فلسفية كالرواقية والابقورية والكلبية والقورينائية والميغارية .

فمؤسسي الميغارية والكلبية والقورينائية درسوا على يد سقراط ويطلق عليهم السقراطيون الصغار بالنسبة لافلاطون .

- **المدرسة الكلبية :**

مؤسسها هو أنستمانس أحد تلاميذ سقراط ومن الذين اتخذوا سقراط قدوة لهم في كل شيء .

فأكثر ماراق انستمانس من تعاليم معلمه كان تقشفه فغدا مثله زاهدا وبنى مدرسته على ذلك .

فالكلبيون يرون أن شقاء الانسان نابع من الملكية وعلى الفرد أن يبتعد عن تملك مالا يحتاج اليه .

وهنا نرى فلسفة قريبة من العودة لطبيعة لسارتر واعادة مسار عجلة الحياة بالنسبة لبوذا والانسجام مع الطبيعة بالنسبة للاوتسيه .

ومن خلال السطور يتبين لنا أن أساس الحزن هو محاولة البحث عن الذات من خلال الأشياء كالمال والجاه والسلطة حيث أن هذه الأشياء نسبية وكلما تعمق فيها الفرد كلما أغرقته أكثر دون منحه السعادة التي ينشدها .

ولذلك فالحل يكمن في الأبتعاد عن التملك ونبذ الجسد والتخلص من الشهوات .

فلا عجب بعد هذه النظرة أن نرى أحد أهم فلاسفة البراميل كما يطلق عليهم ويل ديورنت وهو ديوجانس يبحث في عظام الحيوانات بحثا عن رفات والد الأسكندر على مرأى الأسكندر نفسه ! .

بل أن مطلبه الوحيد من الاسكندر كان بأن يغرب عن وجهه كونه سد ضوء الشمس عنه !! .

- **القورينائية :**

أسسها أرستبوس أحد تلاميذ سقراط أيضا وقد أطلق عليه أفلاطون الكلب الملكي كونه كان لا يقف في وجه ظلم الحكومة .

ومذهب أرستبوس يركز على أن الحياة عبارة عن الم ويجب وضع حد لهذه الالام عن طريق التعاطي مع اللذة بشكل متواصل .

ولم يشرح أرستبوس مذهبه بالشكل الكافي حيث أن اللذة غالبا تنقلب الى ألم ان تمادى الانسان في التعاطي معها ستستحيل بذاتها الى ألم !

وعلاوة على أن المجتمع سيصبح مجتمعا خاملا غير منتج وستسود فيه النزعة الفردية فالكل يهتم بلذته الآنية التي لا تنتهي وقد تكون على حساب الغير ومن ثم سنعود لذات الوضعية التي ثار عليها سقراط سابقا .

وقد استمرت تعاليم أرستبوس في مدرسته وأنتجت لنا (هجسياس) والذي قال أن أساس الحياة الالم ولا سبيل لدفعه الا الموت ! , فبدأ الناس في الانتحار وهجسياس ينشر هذه الفكر دون تنفيذها بالطبع حاله كحال كل تجار الفكر والدين حتى تم طرده من المدينة فاستحق لقب (ملاك الموت) ...

- **الرواقية :**

مؤسسها زينون الكتيومي الذي لزم البحث والمطالعة منذ صغره فعشق أثينا وفلاسفتها حتى أتى أثينا وأسس مدرسته في رواق للشعراء وعلى ذلك الرواق تمت تسمية مدرسته .

والرواقيون يرون أن الهدف من الحياة هو فهم مراد الاله وكل شيء يحدث لا يحدث اعتباطا بل يكون معللا وهدفه خير دائما

وهذه نظرة ذات مسحة شرقية كانت غريبة على أثينا خاصة ان علمنا أن الرواقية قالوا أن الاله خلق هذا العالم وءامنوا بوجود حياة أخرى

وكما أن بني اسرائيل تلقوا اليهودية أثناء وجودهم بين البابليين والأشوريين فأثينا صاغت هذه النظرة في ذات الظروف ومهدت الأرض كثيرا لدخول المسيحية ....



- **الابقورية :**

يرى سنيكا وهو من أشهر الرواقيين أن ابيقور امتداد لرواقية رغم أنه يصنف أحد أهم معارضيها .

وفي عالمناالعربي هناك خلط غريب بين الفيلسوف ابيقور والطبيب ابقراط ونسب أراء الأول للثاني .

فالفيلسوف ابيقور ثار في وجه وثوقية الرواقية ومحاولة تحويل الفكر الى دين فنبذ كل مايمكن أن يجلب الألم .

وابيقور هنا يشابه بوذا في نبذه كل مظاهر الدين وتأكيده على أنها ليست حلا وأن الرواقية بهذه الطريقة عالجوا الألم بالألم فصاغ حجته الشهيرة :

ان كانت هذه القوة الخالقة خيرة فمن أين يتأتى الألم ؟

وان كانت هذه الشرور موجودة فلما لا يزيلها ؟

هل هذه القوة أضعف من أن تزيل الشر ؟

أم أنها لا تريد ازالته ؟

وفي كل الأحوال لن نحتاج الى هذه القوة المتسامية .

فأبيقور يرى أن العالم المادي متكون من أجزاء دائمة الحركة وهي النظرية الديموقريطيسية فكل شيء مكون من جزيئات حتى الالهة ولكن ابيقور نزهها عن التدخل في عالم الكون والفساد .

فدفع الألم هو المغزى من الحياة ولكن كيف ندفع الألم ؟

هل ندفع الالم باتباع الملذات التي كلما انغمسنا فيها زادت رغباتنا أكثر فأكثر حتى تصل لحالة تصبح معها الملذات مصدرا للألم ؟

أم بالتخلص من كل شيء والبقاء مع الطبيعة وهنا يستحيل المجتمع الى مجتمع خامل ؟

أم الايمان بوجود قوى خلف كل حدث وخداع النفس بذلك ومحاولة التعمية على الواقع وتحويل القبر الى ورد عن طريق اللعب بالمسمى ؟

وبين كل هذه الأراء كان ابيقور أبسطهم حيث قال أن السعادة تكمن في البساطة والوضوح والبذل للاخرين كما نريد منهم أن يبذلوا لنا والعطاء الدائم .

بالمختصر كن بسيطا بعيدا عن الملذات الحسية والمعنوية وقابل الأشياء بماهياتها الحقيقية ....

- **بين الرواقية والأبقورية :**

في كتابي السابق الانسان والأديان تناولت هذه الاشكالية وسأتناولها هنا بايجاز أكثر .

فمن أبرز الحوارات والمناوشات الفلسفية هي تلك التي حدثت بين الرواقية والابقورية

وحجة أبيقور تكاد تكون أشهر من جواب الرواقية العميق والذي أعطانا درسا في كيفية الرقي الفكري وكيف نتحاور .

فالرواقيون طلبوا تحديد ماهية الشر الذي تحدثه عن ابيقور في حجته فالمسميات ليست خيرا أو شرا من حيث هي .

فالمرض على سبيل المثال لا يمكن تصنيفه الى خير أو شر بشكل دائم .

فان أفترضنا ان أحدى المدن تواجه خطرا عظيما استدعى الحاكم لتجنيد كل الرجال في المدينة الا أن هناك شخصا مريضا لم يستطع الالتحاق بالجيش .

وبعد مدة أتت الأخبار بأن الجيش تم افنائه عن بكرة أبيه

فهل كان مرض الرجل خيرا له أو شرا ؟

حتى المال قد يكون خيرا ان تم تصريفه بشكل حسن وقد يقود الى السجن !

وقد يؤدي الايمان باله الى خير وقد يؤدي الى شر فكل شيء في هذا العالم نسبي .

فهناك فارق بين الحدث كحدث وتصنيفه والمسمى ومن سماه , فالحدث يكون كما هو فيما الانسان هو من يصنف الأحداث الى خير وشر .

فان فرقنا بين الحدث والانسان ونزعنا التسمية عن الحدث سنراه يحدث لسبب ما وله نتائج محددة .

وهنا نستطيع أن نرى قصور الانسان وعقله المانوي الميال الى التصنيف وأن الحقيقة تحتاج الى تعمق خلف الظاهر وهذا ماتجسده المفردة الانكليزية لكلمة أفهم (understand).....



القرون الوسطى ومابعدها

بعد العصـــر الهلنســـتي بمذاهبه الفلســـفية , دخلت أوروبا عصـــورا ظلامية حيث أصـــبحت الكنيســـة المســـؤول الوحيد عن العباد والبلاد وأصـــبح الاله مركز الفكر والتعاليم الدوغمائية الثابتة مواضيعا للبحث .

تدهورت أوروبا فكرا وحالا , حتى بدأت بشائر التحول هناك من شمال ايطاليا حيث لم تكن الكنيسة بتلك القوى بالنسبة لعقول السكان لا جغرافية المكان ولعب قربها من الأندلس دورا كبيرا في ترجمة كتب الفلسفة والتي أعطت للفكر بعدا أخر .

لقد ساهم كوبرنيكوس حينما أعاد قراءة رأى أرسطرخوس حول مركزية الشمس لا الأرض بالكثير حيث بدأ البساط يسحب من تحت الكنيسة كمصدر وحيد للمعلومات .

ومن ثم زاد مصـــادقة جيوردانو برونو واضـــافات جاليله بدوران الأرض ويوهان كبلر الذي شـرح كيفية دوران الكواكب حول الشـمس ووضـع تسـاؤلات أجاب عليها نيوتن مكتشفا من خلال تلك التساؤلات قوانين الجاذبية والحركة .

ومع تعالي صـوت الفكر قابلته الكنيسـة بالقمع الشـديد فأحرقت جيوردانو برونو وتم فصـــل جاليله عن عمله الأكاديمي علاوة على انتشـــار الخرافات كحرق الســـاحرات وصـكوك الغفران وزادت حدة التسـاؤلات داخل الكنيسـة ذاتها حيث ثار مارتن لوثر على الكنيسة ما أدى الى نشوء المذهب البروتستانتي ودخول الكنيسة الكاثوليكية في حرب الثلاثين عاما والتي دمرت أوروبا .

ولم تهدأ عواصـــف مارتن لوثر حتى نادى جان لوك بفصـــل الدين عن الدولة وهذا النداء لقي أذان صـاغية من مونتسيكو وفولتير وجان جاك روسو ونـادى لوك أيضـا بحقوق الانســان ماســاهم في نشــوء الثورة الفرنســية في وجه الاقطاعيين والكنيســة وهذه الثورة ألهمت أوروبا بأكملها .

ومن ثم أنتشـــر المذهب الميكانيكي لتوماس هوبز وبشـــكل أقل ديكارت وضـــرب داروين التعاليم الكنســـية في مقتل بنظرية التطور والتي كانت موجودة قبل داروين ولكن اضاف اليها الانتخاب الطبيعي .

هنا بدأت قرون الظلام تنقشـع عن سـماء أوروبا فبدأت قرون الشـك وتهاوت سـلطة الكنيسـة وأنتشـرت الفلسفة الرومنسية فكريا والتي تمجد الانسـان وتدرس آثاره عند هيجل والنزعة الشـــعوبية والتي كانت من أهم مســـببات الحربين العالميتين الأولى والثانية وقبل ذلك تم ابادة سكان أمريكا الشمالية وأسترالية تحت مسمى (اكتشاف) وعبئ الرجل الأبيض في تحرير العـالم والأخذ بيده نحو التمدن ومحـاولـة فرض طرق تفكيره على الكل وفشلت هذه المحاولة ودمرت الكوكب وقتلت خلقا لا يحصى .

ولكن أين موقع الانسان في كل هذا ؟

اغترب الانسان عن ذاته كثيرا مع الكنيسة , فأصبح يعيش في المستقبل (التفكير في الجنة) مع وزر الماضـــي (الخطيئة) فختفت اللحظة وتراجع في كل النواحي , وهذا مايحصل اليوم في البلاد العربية .

وحينما اكتشـف الانسـان (اللحظة) وبدأ يعيش حياته بدأ العلم يتطور وبدأ الانسـان يخرج من عبادة الكنيسـة وأدوارها المقيتة من رجل دين الى شـخص عليه أن يسـمع ويطيع فقط ! .

خرج الانسـان من هذه الحالة ولكنه لم يتعرف على ذاته الحقيقية فنبذ الأدوار القديمة وبحث عن أدوار جديدة في مسـرح الحياة فكانت الرأسـمالية حيث النجاح والسـعادة يكونان في دائرة المال والجاه والسلطة وفشل في ذلك فشلا ذريعا ودخل في حروب كادت تدمر الكوكب !.

قد يكون حال أوروبا ســابقا والعالم العربي اليوم يشـــابه حال الممالك المتنازعة في التاريخ الصـــيني والذي خرج منه الصـــينيون وهم يعرفون ذواتهم فطوروا أدبيات ترتكز على الأخلاق ومعرفة الذات وان بدأت العولمة تفسد ذلك .

فالعالم جميل باختلافه وكل من يحاول فرض لون واحد له ســيدمر الكوكب , هذا مايقوله لنا درس التاريخ في دروسه الايجابية القليلة ......

موانع التعرف على الذات

موانع التعرف على الذات

يولد الانسان بلا اسم , بلا دين , وبلا أي خلفية كما يعبر جان لوك " يولد الانسان كصفحة بيضاء " .

هذه الصفحة تبقى ناصحة حتى يبدأ الطفل في التعاطي مع اللغة والتي غالبا ماتتعامل مع ظاهر الأشياء والمواقف ولها قدرة في خلق عالم كاذب يوازي العالم الحقيقي ومع هذا يكون الأطفال أذكياء جدا حيث أنهم يتسائلون بشكل مستمر ويطرحون أسئلة بلا أجوبة محددة ويندهشون من كل شيء .

وفي غضون ذلك يتم اعطاء الطفل اسما , هذا الاسم سيحد من الطفل وكيفية تعاطيه مع ماحوله شيئا فشيئا .

فالاسم سيجعله يرى أنه (أنا) والأخر (هو) في الحالة الفردية وفي الحالة الجماعية (أسرتي) و (عرقي – جنسيتي – ديني) وكل مفردة لها تعاليمها وعاداتها وتقاليدها التي تحد الطفل وتفصله عن العالم بشكل أكبر .

ومن ثم يأتي النظام التعليمي البائس الذي يلقنه ويجعل الطفل يسأل أسئلة لها أجوبة محددة ويجعله يتنافس ليتعلم لا يشارك لكي يتعلم وما أن يصل الطفل الى هذه المرحلة نستطيع أن نرحب بنسخة جديدة خلقها لنا المجتمع وعليه أن يقاتل بشراسة لكي يستعيد ذاته وهذا ما لن يسمح به المجتمع ! .

لم تكن الرغبة الجنسية هي المشكلة يافرويد بل كانت الرغبة في استعادة الانسجام مع المطلق تلك الحالة التي أتينا الى العالم بها ...



اللغة

(لقد تم اكتشاف أمريكا !) بهذه الجملة تم التغطية على ملايين الجثث للهنود الحمر !.

لا ادري كيف يتم اكتشاف مكان مأهول بالسكان ! .

وفي التاريخ نرى جمل من قبيل الحرب الصليبية وهي بارادة الرب وايضا الفتوح الاسلامية وهي ايضا بارادة الله كما يقول أصحابها والعرق الجرماني العظيم الذي كتبت له السيادة بتدمير أوروبا وادخال العالم في حرب عالمية خلفت ملايين الارواح !

ولا ننسى مهمة الرجل الابيض في الاخذ بيد العالم غير المتحضر عن طريق استعبادهم ونهب ثرواتهم وجعلها اسواقا مفتوحة لمنتجاتهم ! .

التاريخ مليء بمثل هذه الجمل التي تم استعمالها لخداع البشر وقتل بعضهم وتدمير الكوكب ومع ذلك لم نتعلم من هذا الدرس الى يومنا هذا ! .

فكما أن اللغة تعتبر من أهم العوامل التي ساعدت الانسان في التطور وبناء الحضارات , تعتبر أيضا من أهم العوامل التي تدمر الحضارات .

فالكلمات لا وجود حقيقي لها وانما يوجدها الواقع فتكون نسبية من شخص الى أخر وتعتمد على عوامل متعددة ومعقدة لكي تصل الى الفرد .

فلا وجود لكلمة لها معنى واحد أبدا حيث الكلمات تعتمد على خلفية القائل و المتلقي الثقافية وعاداته وتقاليده ومعتقداته وحتى على حالته المزاجية !

فعين الحبيب عن كل زلة زائغة والعكس مع من تشعر بشعور سلبي ضده وان كان ما يقوله صحيحا ! .

لذلك لم يتقدم العلم الا حينما ابتعد عن اللغة وأسس أرضية تقوم على التجربة والبرهان التجريبي المتاح للكل والذي يعطي ذات النتائج في (أغلب) الأوقات .

عكس الأديان والتي تتعامل مع الانسان وبالتالي هي مجبورة على قصور اللغة الذي يسيء لها دائما وهذا ماتفطن له البراهمة في الهندوسية في مسابقات يجرونها بين اثنين حول ماهية الاله حتى تقف اللغة ولا تستطيع الاكمال وهنا يحضر البراهمان .

وحتى البوذية والطاوية أشارت الى المطلق والطاو بأنهما مبهمان بالنسبة للغة ولا يتم الوصول اليها الا بالتجربة .

وأتفقت معها الأديان السماوية ووضعت الشعائر والعبادات كطريق للوصول الى الله ولكن اتباع هذه الديانات اتخذوا طريق اللغة للوصول الى الله ما أنتج علم اللاهوت والذي أثبت التاريخ أنه يفرق البشر ولا يجمعهم لذلك ناصبت الأديان السماوية العداء بعضها بعضا .

حتى داروين اشتكى من أنه مجبر على استخدام اللغة لكي يفهمه الناس وان اللغة تعتمد على خلفية الفرد وبالتالي يختلف الحكم عليها من شخص لاخر .

حتى النقد الأدبي أكد أن معنى الشاعر يكمن في عقل المتلقي لا في كلمات الشاعر والتي قد يختلف وقعها بحسب الخلفية الثقافية والمزاج أيضا !.

ناهيك عن وهم المعرفة التي تنتجه اللغة والتي استهدف سقراط تبديدها عبر التساؤل المستمر .

ومن غير المنطقي أن يعتمد التعليم اللغة كأساس للتدريس بدلا من التجربة والتساؤل المستمر , حيث أن التعليم أضحى مقدما للايجابات لا محفزا لطرح الأسئلة .

فاجابات نيوتن ليست مهمة بقدر تساؤلات كبلر التي أنتجت تلك الاجابات فما أشد حاجتنا لعقلية كبلر المتسائلة اليوم !

حتى نسبية انشتاين نتجت من جراء تساؤل عن ماذا يحدث ان امسكنا بالضوء ؟

ولأن اللغة تعتمد على خلفية الشخص الثقافية وعاداته وتقاليده ومعتقداته سنرى أنها تدرج في بعض الأحيان كهوية لمنطقة ما وهذا يخرجها من اطارها التفاعلي التواصلي بين البشر الى اطار تعصبي دوغمائي وبشكل كبير .

لذلك التعصب الناتج عن الاديان ليست مسؤولية محمد أو عيسى أو موسى أو حتى الاله بقدر ماهي مسؤولية البشر الذين اتخذوا اللغة كأرض مستقرة لأحكامهم مع أن اللغة نسبية وتتأثر بكل مايحيط الانسان وتختلف حال الانسان بختلاف اللغة التي يستخدمها ! .

لذلك أكد فيتغشتاين أن اللغة لا يمكن أن تكون أرض مستقرة وعليها تبنى الأفكار أو يتم البحث عن طريقها عن الاله وما الى غير ذلك ولهذا تفشل كل الأديان والفلسفات تطبيقيا لكون أن القاعدة التي يحاولون الانطلاق منها متغيرة وبشكل مستمر .

وأكبرمثال ماحدث في القرون الوسطى للكنيسة التي وقفت أمام كوبرنيكوس وبرونو لقولهما أن الارض تدور حول الشمس لا العكس كما كان يقول بطليموس وقابلت هذا الرأي بالقمع فاحرق جيوردانو برونو .

وكون هذه المعلومة تعتمد على المراقبة المتاحة لمن يريد لا التنظير اللغوي فان الانتشار كان مستقبها حتى رضخت الكنيسة لذلك .

ومن ثم يوضح كبلر كيف تسير الكواكب في مسارات اهليجية حول الشمس مايعني وجود نظام لا يتطلب تدخل اله فتعترض الكنيسة مجددا لان الكتاب المقدس يقول عكس ذلك, ومن ثم يؤكد نيوتن على كلام كبلر ويضع قوانين الحركة والجاذبية وتتوالى الاكتشافات الفيزيائية التي تثبت أن الكون محكوم من خلال قانون لا يحتاج الى تدخل الاله ومن ثم ترضخ الكنيسة لذلك وتؤمن باله منظم وتطور أدبيات أن على النص المقدس ان لا يكون ضد العلم وأن يتم تطويعه لخدمة العلم وهذا مايساعد على التخفيف التوتر بين الكنيسة والعلماء.

الا أن الكنيسة تشهد انقسامات بدأها مارتن لوثر مطالبا بحرية كل شعب بقراءة الكتاب المقدس بلغته ماجعل النص تحت وطأة خلفية القارئ والعادات والتقاليد لكل بلد فنشئت تعاليم مختلفة انتجت حرب الثلاثين عام ودمرت أوروبا .

وكذلك اعتمدت النزعات الشوفينية على اللغة وليس على الواقع وهذا مانتج وهم معرفيا لدى تلك الدول والتي دخلت في حروب مع بعضها سميت بالحرب العالمية الاولى .

ومن ثم أتى هتلر واستخدم مهاراته الخطابية ليحشد الالمان وراء وهم العرق الأوحد فدمر أوروبا وأدخل العالم تحت وطأة الحرب العالمية الثانية وقنبلتي هيروشيما ونكازاكي .

وقبل ذلك لا ننسى أحداثا كاكتشاف أمريكا الذي ذهب ضحيته ملايين الأرواح من السكان الأصليين .

وكذلك مهمة الرجل الأبيض بالاخذ بالعالم والذي تم استعمار بلدان العالم تحت هذا الشعار ونهب ثرواتهم .

فيما الشرق اعتمد على اللغة أيضا حيث لم ينجو الاسلام والقرآن من نزعة البشر الى بناء صرح يستند على اللغة فتم استرقاق الكثير وسبي النساء وفعل أشياء تقشعر منها البدن تحت مسمى (شرع) ! .

فالقرآن الكتاب الأخلاقي نراه يتهم بأنه سبب في بشائع وأنه يشرع لها مع أنه بريء من ذلك ولكن هي اللغة وهم البشر !

فعلي بن ابي طالب نهى ابن عباس عن محاجة مجموعة رأت أن تفهم القرآن حرفيا فاتهموا عليا وابن عباس وموسى الاشعري بتزييف الحقائق وهم من تلامذة النبي محمد الذين أخذوا تعاليم الاسلام منه روحا ومشافهتا ! , نهاه عن أن يواجهم بالقرآن

لأن القرآن يعتمد على اللغة التي تعتمد بدورها على خلفيات البشر الثقافية ومستوى ادراكهم ووعيهم وعادات وتقاليد الأماكن التي يعيشون فيها .

فوهم المعرفة أحدث عند تلك الفئة غرورا كاذبا وهذا هو تأثير (دوننج-كروجر) حيث أنه كلما زاد محدودية معرفة الفرد زادت ثقته كون كل انسان دائما مايحاول ان يتظاهر بما لا يملكه .

فكلما انتشر الجهل والعادات والتقاليد المغلقة كلما زادت فرصة السيطرة على البشر من خلال اللغة لذلك نرى الشرق الأوسط اليوم اكثر منطقة تتردد فيها عبارات لا معنى لها كالوطن والدين والخلافة حيث انها تحدث وهما للمستمع العربي قليل الثقافة بأنه على دراية كاملة بها فيتعصب لها ولو سألته ثلاث أسئلة حولها لما اجاب أو سارع باتهامك بالخيانة .

فظاهر اللغة شيء وباطنها شيء أخر وللأسف الجهل والكسل يجعلان الفرد يكثر الحديث حول المعنى الظاهري للغة لا ان يحاول فهم المعنى الباطني لها لذلك يميل البشر الى التصنيف والتعصب والدوغمائية لانها اسهل من حب الاختلاف والمحبة .

لذلك علينا أن نتوخى الحذر في تعاملنا مع اللغة كمتلقي أو كمتكلم فان ان كنت انت المتكلم فلا تقل الا خيرا مع التركيز على لغة الجسد فكلمة جميلة بوجه عابس لا تعني شيئا .

فالابتسام والكلام الجميل يزيد من قبول كلامك ومحبة من حولك وهذا يضاف الى قصور اللغة أيضا , وانتشار هاتان العادتان في المجتمع يساعد على توطيد السلام أكثر من أي شيء أخر ولكن البشرية لا تحب السلام ! .

فالهندوسية والبوذية والكونفوشيوسية والطاوية واليهودية والمسيحية والاسلام كلها في جزئها التطبيقي وهو الجزء الاصيل لها قالت بهذا القول ولكن اتباعها لم يعجبهم ذلك وأتجهت الى جزئها (الزائف) الأرثوذكسي المعتمد على اللغة فعانت ومازالت تعاني .

قل خيرا وابتسم وكن ايجابيا في فكرك وأقرأ باستمرار واستمع لتفهم وناقش لكي تستفيد وأعرض عن الجدال مهما كان مغريا وتذكر :

(الكلمات المخلصة لا تكون رقيقة , والكلمات الرقيقة لا تكون مخلصة) "لاوتسيه ...."



الوهم

مفهوم " الوهم " يختلف تفسيره بين شخص الى أخر وفي حياة الفرد من حين الى أخر.

فالشخص العامي يرى الوهم كل مايخالف رأيه , وعالم النفس يرى الوهم تلك الأضطرابات التي تخيف الفرد في حياته , فيما السياسي يرى الوهم عبارة عن تلك المؤسسات أو الحركات التي تستخدمها الحكومات لأخافت شعوبها , فيما الفيلسوف هو أقربهم حيث يرى الوهم في المعرفة.

فسقراط في مناقشاته كان يستهدف تبديد وهم المعرفة عن طريق الأسئلة المتتالية التي تطلب تعريفا للكلمة ومن ثم مناقشة هذا التعريف.

فأغلب مشاكل الأنسان تأتي من عدم قدرته على التعرف على وهم المعرفة لديه , حيث أننا قد نعرف اسم شيئا ولنمثل بالنخلة , حيث الكل يعرف أو على الأقل الى الان ماهي النخلة ولكن ان تم مسائلتنا من قبل عالم بيئة عن التربة التي تحتاجها النخلة لتنمو ؟ وماهو العمر الافتراضي للنخلة ؟ وماهي أنواع الثمار التي سنجنيها ؟ هنا على الأغلب سنرى مدى جهلنا بالنخلة.

فقد نعرف اسم شخص ما ولكن حالما يتم مسائلتنا عن أخلاقه واهتماماته سنرى اننا لا نعرفه على الأطلاق , وعلى هذا الوهم يتم الاستناد على تضليل الناس سياسيا ودينيا واعتقاديا.

حيث أن الطقوس الدينية والخطابات السياسية تعتمد تلقين الكلمات بعد تفريغها من المعنى بالكامل ومن ثم عرضها بشكل متكرر ومستمر على الناس حتى يعتادها الناس ومن ثم يحصل وهم المعرفة.

فكلمات من وزن (عقيدة - خلافة -سنة- شيعة- زندقة) تحدث وهما بالمعرفة حيث أن العامة يقدسونها كثوابت لا تحتاج الى شرح ويضعونها كقاعدة انطلاق لأفكارهم ما يجعل الناتج خاطئا حيث الأساس خاطئ.

فمفاهيم كالزمن والمكان تغير مفهومها من المطلق الى النسبي مع نظرية آنشتاين النسبية حيث أنها تختلف من حين الى حين فلا تصلح كقاعدة علمية فكيف بأراء بشر ؟

فالعقيدة والخلافة والمذاهب أراء بشر لا تصلح كقاعدة انطلاق وكل فكر يعتمد عليها كقاعدة انطلاق سيفشل فشلا تاما كونهما مجرد متواليات حرفية مفرغة بالمعنى.

وفي السياسة نرى كلمات من وزن (العدو - مصلحة الدولة - عميل) كلها تعطي المستمع لها وهم المعرفة فيبدأ بشتم من وصف بعدو دون أدنى محاولة لمعرفة الحدود التي يتسنى لنا من خلالها تسمية الغير بهذا المسمى وكذلك لا يعرف ما هي مصلحة الدولة ولا كيف نطلق على الطرف الأخر عميل.

ولكن كيف نستطيع التعرف على وهم المعرفة ؟

من أهم علامات وهم المعرفة " التقديس" حيث أن كل كلمة محاطة بهالة من القدسية أو عدم التحاور حولها تكون وهما يجب تبديده وهذا ما أشار اليه ميرلو بونتي.

فالتقديس يورث التعصب , والمتعصب أكثر الناس جهلا بالموضوع حيث أن المعرفة لا تورث تعصبا أبدا....

*المثل العليا-:

وكذلك أيضا في حالة " المثل العليا " للمجتمع حيث أن أسمائهم وأفعالهم تستحيل الى مقدسات ما يجبر الفرد على قبول أفعالهم وان كانت تناقض الفطرة والأخلاق كما فعل أوغسطين اللذي قتل الكثير ولكن تغاضى الشعب عن هذا ونحت له تمثالا مع كبار ملوك المملكة الرومانية.

وكما حدث هذا أيضا مع رموز اسلامية مثل السفاح مؤسس الدولة العباسية والذي لا يصنف من قبل الاسلاميين من ضمن سفاحي التاريخ رغم قتله الالاف وتمثيله بجثث من كان قبله من أمراء بني أمية بل وقتل من أسس الدولة العباسية معه وقس على هذا المتوكل وغيرهم.

ويتضح أكثر حينما نمر على سوار " الصحابة " حيث هذه الكلمة تمثل تحذيرا من محاولة التفكير بأن من يحاط بهذه المفردة على خطأ رغم أن التاريخ يخبرنا بفعائل لو نزعنا عنها الأسماء وأستبقينا الحدث لشمئزت منها قلوبنا ولكن أصحابها ينتمون الى " المثل العليا. "

ووهم المعرفة هنا يكون باضفاء الطابع الايجابي على " المثل العليا " دونما محاولة امعان النظر في حقيقة هذه المكانة.

-الانطباع الأولي-:

وأيضا هناك الأنطباع الأولي حيث أن الأنطباع الأولي قد يعطي وهم معرفة لصاحبه , فالانطباع الأولي من حدث معين غالبا يكون بمثابة اسقاط من الفرد على الحدث أو الشيء أو المفهوم , فيكفي أن أكون في مزاج ممتاز حتى تترك بعض النظريات انطباعا ممتازا لدي تماشيا مع مزاجي الرائع , وقس على هذا الحزن والغضب.

-الاجماع أو السائد:

من أكثر معوقات العقل الاجماع والسائد , حيث أن البعض يرى في الأجماع دليلا بعينه وهذا خطأ وقف ضده كيركجارد بقوة , حيث أن التاريخ يثبت على عكس ما قاله هيغل أن الجماعة غالبا ما يتفقون على الخطأ فيما الأفراد هم من يميلون الى الصواب وهنا جذر حقبة التنوير.

فالانبياء والمفكرين والعلماء والباحثين هم قلة أمام الأعداد الهائلة التي كانت ومازالت حول هذه الشخصيات , ومن الطرافة أنهم يقمعون بذات الحجة قديما وحديثا (هذا ما وجدنا عليه ءابائنا) ان كان الشأن دينيا أو علميا فسطوة الأباء هي سطوة عدد معبرة عن تاريخ مجتمع.

ولذلك يعاني الاسلام اليوم من وهم المعرفة لدى دارسيه اللذين يعتقدون بقطعية كل ما ورد وكل ما أجمع عليه بل ويضعون الأجماع كدليل قطعي رغم أن القرآن أشار الى أن الجموع تكره الحق (ولكن أكثرهم للحق كارهون) وأكد على جهلهم .

-5التاريخ\-:

تقديس التاريخ والتعصب له كان من أهم الأسباب التي أوقدت نيران الحربين العالميتين , فالفلسفة الرومنسية بشقها الشعوبي وأنا أقصد شيلنج وهيغل أحيت في المرحلة الأولى قصص وحكايات وأساطير السابقين لحفظها ومن ثم الافتخار والاعتزاز بها وزاد هيغل بسحق استقلالية الفرد ومن ثم واصلت بطريقة غير مقصودة عن طريق كارل ماركس ولم يقف ضد هذا الطوفان الهائج الا كيركجارد الذي وجد نفسه كسقراط وسط الجموع في محاكمته.

فالتاريخ يعرف أنه حبر الملوك والظلمة , يصور جزءا من الحياة وليس مشهدا كاملا.

وحينما يتم تقديس التاريخ وكل ما ينتسب له سيكون الفرد هو الضحية دائما , وغالبا هذا الفرد يكون نبيا أو مفكرا كجيوردانو أو عالما كغاليله.

فوهم المعرفة يضفي على التاريخ صفة ايجابية تطول كل ما ينتمي لهذا التاريخ وان خالف الخلق والفكر كون ملاحظة ذلك يتطلب اعادة النظر فيه وهذا من المحرمات.

أتمنى أن لا نركن لوهم المعرفة وأن نستغل أوقاتنا في دحض هذا الوهم وأن لا نتعصب بقدر ما نحاول أن نتعلم , وأن نعفو عمن يخطأ ويتعصب كونه مصاب بوهم المعرفة ...

سرطان الفكر (هذا ماوجدنا عليه آبائنا)

للاباء سطوة أرقت الانبياء والمفكرين , فنوح وضع أمامه الاستفهام الأنكاري " أنترك ماوجدنا عليه آبائنا " ؟ , فيما ابراهيم دمر اصنامهم ووضع السيف في رقبة كبيرهم ولكن سطوة الأباء أتت أمامهم مرة أخرى فحرقوا ابراهيم.

فيما محمد قوبل وبشكل سافر بذات الحجة في مرات ومرات وكأنها حجة دامغة وهي مجرد أحرف تم رصفها بصورة احترافية. !

فيما أتهم بالهرطقة كوبرنيكوس بعما أثبت خطأ بطليموس في مركزية الأرض , وأحرقت الكنيسة جيوردانو برونو لاعتناقه أفكار كوبرنيكوس رغم أن دعائم دينهم يقوم بالتأكيد على مظلومية المسيح عيسى. !

فيما تم سجن العقل الجبار غاليله في منزله بعدما أكتشف أقمارا للمشتري وأيضا بعدما أثبت خطأ أرسطو في مسألة سقوط الأجسام في الفراغ ما أفقده وظيفته في الجامعة ومن ثم أكد على أقوال كوبرنيكوس ليحاكم من قبل الكنيسة. !

فيما أصاب الذعر بدل الفخر هيرفي مكتشف الدورة الدموية فلم يعلن عن كتابه للملأ خوفا من بطش الكنيسة.!

فيما أحرق الوزير حامد بل قطع الحلاج وطاف برأسه فقط لأنه قال بالحلول , رغم أن الاسلام عانى من تعذيب قريش للمسلمين الأوائل !, وهذه بعض القصص من سطوة الاباء على الحياة. !

فيما اليوم قد لا تكون هذه السطوة واضحة , كونها تتقنع بغطاء الاسرة والدولة والعادات والتقاليد والدين , فتكون مهمة الفرد أصعب من مهمة ديكارت لتفكيك كل هذه المسلمات التي تفرض على الفرد بلا تفكير أو تحليل.

فالافكار حالما تصبح جزء من العادات تخسر وهجها وتستحيل الى قيد يطوق من يتعاطى معها كفلسفة أرسطو التي كانت كالنجم اللامع في عصره , وكقيد من نحاس في قرون الظلام.

فلك أن تتخيل أن أول من شرح انسانا وهو زميليس قد أحرق كتبه وأبحاثه التي أثبتت بطلان أقوال الاغريقي غالين اللذي استند في ابحاثه على بعض الملاحظات من خلال تشريح أجسام الحيوانات , فغير زميليس بعد قرون طويلة مفهوم التشريح ولكن كانت المفاجأة أن المجتمع العلمي رفض أطروحات زميليس وفضل البقاء على الملاحظات القادمة من الحيوان. !

فأفكار غالين وأرسطو وفلسفة زينون وابيقور وأفلاطون وأديان محمد وعيسى وموسى كلها تصاب بسرطان " هذا ماوجدنا عليه ءابئنا. "

وقد حارب المفكرون هذا السرطان اللعين الا أنه كان ينتصر غالبا كونه لا يكلف الانسان عناء البحث والتفكير فيركن لهذا القول السهل الذي لا يكلف شيئا.

وهذا السرطان يتم القضاء عليه بشكل متواصل عن طريق البحث والمطالعة ولحظات الجلوس مع النفس والنظر في صحة كل فكر بداية من الدين وانتهاء بأدنى فكرة وبهذا فقط تكون فردا متحررا عاقلا.

فغالبا ماتعتمد العادات والتقاليد على العاطفة لا على الفكر ولهذا فان تم ادخال الدين من ضمن العادات والتقاليد فهذا يعني دينا بلا عقل قد يقتل كما فعل بالحلاج وبرونو وأيضا الفكر قد يصبح كلاما مجردا من التفكير فيسجن غاليله ويخيف هارفي ويغضب زميليس...

تحرر من المعتقدات وأعد النظر فيها لتصنع أفكارك بنفسك وبيدك أنت فقط..

ارادة الاعتقاد

ارادة الأعتقاد كما أطلق عليها برتراند راســـل تقف خلف القرار الناجح والقرار السلبي أيضـا , حيث أن ارادة الأعتقاد لا تحدث وهما بالمعرفة بقدر ماتكون بطريقة كيركجارد " اما " و " أو " .

فعين الحبيب عن كل زلة زائغة حيث أنك هنا لا تريد أن ترى الجانب الســـلبي في من تحب ,فيما يكفي أن تنظر الي كعدو حتى تحيل أرائي كلها الى خاطئة , فهذه النظرة قد تحيل الصدق الى كذب والموقف النبيل الى موقف متملق.

ويكفي أن اعتقد بوجود الأشباح حتى يبدا عقلي في تفسير كل صوت صادر بوجود شبح ما , ويكفي أن ترى شخصا فوق النقد حتى تستحيل أرائه كلها مقدسة .

حيث أن الاعتقاد بالمثل العليا للمجتمع سـلاح سـلبي فيما الاعتقاد بمثل فردية ناتجة عن اختيار فردي سلاح ايجابي للفرد.

فتقديس الأفراد سـيورث التعصـــب وهذه مشـكلة الأديان والأفكار , حيث أن الجيل الأول ينبهر بصـــاحب الرســـالة ويكون موقفه منه فرديا اما انبهار واتباع أو صـــد واعراض فيما الوضع يختلف تماما مع الاجيال الأخرى حيث تصبح الرسالة الزامية وأصحابها مثل عليا لا يتم المساس بهم ما يورث تعصبا دينيا كما حصل مع حملات المسلمين والنصارى وليست حملات محمد وعيسى وأيضا كاشتراكية ماوتسي تونج ولينين وليس فكر كارل ماركس.

فالاعتقاد للجيل الأول يكون نتيجة للحجة أو الجمال الأخلاقي لهذه الرســـالة عكس الأجيال الأخرى حيث يكون الأعتقاد فاعلا وليس نتيجة قادمة من داخل الفرد الى الموضوع وليس العكس.

ومن الصـعب بمكان التعرف على كنه الأفكار التي أردنا الأعتقاد بها ولكن أعتقد أن كل فكرة لا تستند الى حجة واضحة دامغة عند الفرد هي نتاج ارادة الاعتقاد.

أما الأفكار التي لها حجج واضـحة مقنعة لنا ولم يتم الأخذ بها بطريقة مجابهة افكار قديمة تكون بعيدة عن ارادة الاعتقاد , وهذه هي الجوانب السلبية لارادة الأعتقاد.

فيما الجانب الايجابي يكمن في غرز الأفكار الايجابية لتحفيز النفس على الأنجاز أو القدرة على التشافي حيث أن بعض الاطباء يستخدمون هذه الطريقة باعطاء

المريض دواء بلا مفعول ولكن بمجرد اعتقاد المريض أن هذا الدواء له مفعول سيحفز الجسم للأستشفاء.

وأخيرا من المهم معرفة الجانب السلبي من ارادة الأعتقاد , وكذلك الجانب الأيجابي منه لكي نصل الى أهدافنا ......

كيف نتعرف على ذواتنا؟

كيف نتعرف على ذواتنا ؟

أشـــرنا ســـابقا أن وهم المعرفة واللغة وارادة الاعتقاد وتعاليم المجتمع والمعتقد أهم القيود التي تجعل الفرد مكبلا بذات وهمية .

وان أردنا الفكاك من الذات الوهمية علينا بمحاربة أركان الذات الكاذبة واســـســـها الأربعة ويكون بـ :

1- الانعزال = تعاليم المجتمع وارادة الاعتقاد .
2- الصمت = قصور اللغة .
3- المعرفة = وهم المعرفة .

وهذه الأسس الجديدة للذات الحقيقية يجب أن تكون بشكل دائم فلا يرضى من يبحث عن ذاته أبدا عن نفســه وســيســتمر في التعلم ويخصــص وقتا للانعزال والتفكر في أفكاره ويلوذ بالصمت في غالب الأحيان ليواجه قصور اللغة .

ورحلة معرفة الذات هي أســـمى مايفعله المرء في فترة حياته وقلة من البشـــر من يبدأون الرحلة وقلة منهم من يســـتمرون في رحلة البحث عن الذات الحقيقية والتي يراها الصــوفيون بحثا عن الله والبوذيون عن النيرفانا والطاويون انســجاما مع التاو والهندوسيون انسجاما مع الأتمان وأفلاطون بمعرفة عالم المثل وأرسطو بالانسجام مع العقل المحرك وأفلوطين في الجدل الصـــاعد والرواقية في معرفة مراد الاله والابقورية في البساطة والكلبية في البعد عن التملك وروسو في العودة الى الطبيعة وديكارت في اكتشاف أس الوجود وسبينوزا في وحدة الوجود ومع كل هذه المسميات سنرى أنها تصف شيئا واحدا وهو التعالي عن عالم النسبي الى عالم المطلق الأكثر عمقا .

فهل أنت جاهز لهذه الرحلة ؟

الأنعزال

يقول أرنولد توينبي في كتابه مختصر دراسة التاريخ أن الشخصيات التي صنعت التاريخ انعزلت بذاتها أولا ومن ثم عادت لتغير أفكار مجتمعاتها .

فبوذا ذهب مع النساك بعد ما رأى جثة وامرأة مسنة ومريض يتأوه وناسك ليدرك أنه كان منغمسا في المايا "الوهم" فذهب كسودهارتا وعاد بوذا .

فعلها موسى في رحلته لمدين , فعلتها مريم في فترة حملها لعيسى فعلها محمد في الغار , فعلها أفلاطون في رحلته حول العالم الهيليني .

أكد عليها أرسطو حينما أشار الى أن الخلوة والتفكير اسمى مايفعله المرء وهو مايفعله الاله ومن قبله وضع لاوتسيه مبدأ "الو وي " الذي يجعل الفرد منصرفا عن هذا العالم ظاهرا مع الوعي الكامل .

انعزل ديكارت فصاغ جملته " أنا أفكر , اذا أنا موجود " .

فالانعزال بعيدا عن المجتمع وأفكاره يجعل الفرد قادرا على وضع مسافة بين الأفكار كما هي وارتباطها به , فيبدأ بتحليلها بشكل موضوعي ومنطقي ليكتشف كمية اللاعقل واللامعنى الذي كان يؤمن به من عادات وتقاليد ومعتقدات .

ولو تناولنا الأديان سنرى ادعاء أن الاله رحيم ولكنه انزل دينا واحدا ليتبع ومن لا يتبعه فمصيره النار فكرة متناقضة ! .

فمن يولد في ميانمار يكون بوذيا من اتباع التيرافادا ومن يولد في مكة مسلما ومن يولد في اليونان يكون مسيحيا أرثوذكسيا وفي أمريكا بروتستانيا وفي ايطاليا كاثوليكيا وفي ايران مسلما شيعيا .

وكما نرى التيرافادا في ميانمار متشددة سنرى الماهيانا والزن أكثر رحمة وعقلانية .

وكما أن الفكر السلفي يظهر محمد لا يقبل من يختلف عنه فكرا ومتعصبا لدرجة قتلك , سنراه مع الصوفية رحيما وأخلاقيا ومحبا ومعلما للخير .

فالنسبية تطال الأديان لأنها تتعامل مع الأنسان وعلى كل هذه الاديان ان تعي شيئا واحدا وهو أن الانسان يسبقها في الوجود ويعطيها قيمة وأنها أتت لتحافظ عليه لا لتقتله .

فحينما ينعزل الفرد بعيد عن مجتمعه ويدرك أن ادعاء جماعة أن دينهم هو طريق الخلاص الوحيد ادعاء زائف وغير منطقي وان الاختلاف هو أساس العالم سيكون قد فتح أولى أبواب معرفة ذاته كجزء ينتمي للبشرية لا الى جماعة بعينها .



الصمت

الصمت مليء بالتعابير أكثر من الكلمات , فأصدق مشاعرنا يغلفها الصمت , فحينما نحس بجمال الكلمة نستمع لها بصمت , وحينا نشعر بجمال المنظر أمامنا نتأمله بصمت , وحينما نطرب لنغم آلة موسيقية أو صوت ما نطرب بصمت , وحينما نفارق حبيبا نحدق بصمت , وحينما نحقق هدفا نبتسم بصمت , وحينما نسقط نقوم وننظر الى السماء بصمت , وحينما تهز الكلمات وجداننا لا تترك في داخلنا الا الصمت .

الصمت لغة الليل لذلك نعشق الليل فالليل مجرد صمت ...

في الهندوسية نرى البراهمة يتسابقون على تعريف الاله حتى يصمت أحدهم وتعجز اللغة عن التعبير, هنا يحظر البراهمان .

سقراط يهدم باسألته وهم المعرفة الناتج عن اللغة فلا يترك في عقل من أمامه الا فراغا صامتا !

محمد وقف في كهفه كما وقف ابراهيم صامتا يقلب نظره متأملا بحثا عن الحقيقة .

الصمت لا يكون صمتا ان كان مجرد ادعاء طلبا لهالة من الاحترام والقداسة كما أشار مكيافيلي على كل طالب للحكم .

بل الصمت نتاج يقين بأن اللغة قاصرة وأن اللغة تخلق من الوهم أضغاف ماتخلقه من الصورة الصحيحة وأن اللغة تستند الى خلفية القائل والمستمع من ثقافة وقدرات ومهارات ومعتقدات وعادات وتقاليد لذلك يتذبذب معناها من مكان لأخر ولا تنجح في ايصال المعنى المطلوب .

الصمت مع الوعي الفاعل هذا هو مبدأ " الو ووي " للاوتسيه حيث على الانسان أن لا يتعامل مع ظاهر الأشياء بل مع باطنها .

فاللغة تتعاطى مع ظاهر الأشياء كما أشرنا سابقا والظاهر في أغلب الأوقات لا يعبر عن الحقيقة !

فقد يسرق أحدهم صنارة صيد فيقبض عليه ويسمى سارقا من قبل شخص سرق الملايين !

هنا اللغة خانت الصياد المسكين .

وحتى العلم لم ينجح ويزدهر الا حينما ابتعد عن الكلمات وأتصل بالتجربة والمعادلات الرياضية التي لا تختلف من مكان لأخر ! .

لهذا فالصمت لا يشير الى اللافعل بقدر مايشير الى كل الفعل ولكن ليس مع الظاهر بل مع الباطن .

ومن السـيء أن الانسـان يبدأ في التعاطي مع الحياة صـامتا ولكن يتم تلقينه لما في الحياة عن طريق اللغة مايخلف فهما سـطحيا لما حوله فيحاول أن يسـتعيد صـمته ليستعيد ذاته .

فالصمت مهم جدا للانسان في حياته لكي يفهم ماحوله بشكل أعمق , فما حولنا نتاج لمعادلة ما ولكي نرى الموقف كاملا علينا أن نرى كفي المعادلة لا الناتج فقط ولهذا فالصمت عملية مجهدة جدا حيث أنها تعني نشاطا ذهنيا عاليا لسبر اغوار وماوراء الحدث عكس الثرثرة حول الحدث .

وكما أن البحث عن الذات أصعب من تغييب الذات كون الارتقاء أصعب من النزول , أيضـا الصـمت أصـعب من الثرثرة ولذلك أغلب البشـر يختارون الثرثرة على الصمت ! .

وحينما نصمت نجرد الحدث من التصنيفات ونراه كما هو ونصبح في موقف الفلاح مع حصـانه وابنه فيما الثرثارون يدورون مع الحدث فلا يرون الا ظاهر الحدث نظرا لسطحية اللغة التي يستندون عليها .

ولأن الأديان الأرثوذكسـية أديان تدور في فلك اللغة فانها تخلف عقولا سـطحية لا ترى الا الحدث , بل تخلف الها سطحيا يغضب كما يغضب البشر ويرضى كما يرضـون ويدخل الجنة من ناسـب هواه والنار من خالفه مع أنهم يؤمنون أنه عادل ومع ذلك فالعدل ليس وضع الشخص في المكان المناسب بقدر ماهو وضع الشخص الذي أريد في المكان الذي أريد وهذا ليس بعدل .

لذلك هذه الاديان أو هذا الفهم للأديان لا يسـتطيع البقاء ويكون أيلا للسـقوط ويحتاج الى كهنة وحروب وانتشار للجهل ليبقى .

فاللغة النسبية لا يمكن أن تعبر عن المطلق وفشلت وستفشل في التعبير عن المطلق .

لذ بالصـمت دائما قبل أن تطلق حكما , لا تثرثر بما تعرفه ناهيك عما لا تعرفه , فيكفيك أن تشير الى ما تريد مرة فلن تتضرر الشمس ان قال أحدهم أنها مجرد جبنة معلقة في السماء ! .

الصمت ليس انسحابا , بل مستوى عالي من الوعي والادراك , لذلك تعلم الصمت وحاول أن تصمت ....

فكر بعمق ...

منذ أمد بعيد والناس يتسائلون لما كل هذا الالم ؟

لما كل هذه العذابات ؟

لما الله خلقنا وجعلنا نتعذب ؟

اختلفت الاجابات بين لوم للاله أو محاولة رشوة الاله ! وكلا المعسكريين لم يصلا لحل .

ولكن اليست هذه الاحداث تحدث لنا ؟

أليس ادراكنا هو مايصنف الحوادث الى خير وشر وليس الحدث ذاته وقد شرحنا ذلك ؟

اذا لما لا نلوم أنفسنا ؟ لما نحاول أن نبعد أصابع النقد عن ذواتنا !

قد نولد في بيئة فقيرة كل من فيها يسبحون في مستنقع الاجرام

هنا أمامنا خياران لا ثالث لهما

اما أن نكمل حياتنا في هذه البيئة ونحاول أن نندمج معهم من دون أن نحاول استعمال عقولنا لكي نفهم هل هذا صواب أم خطأ , فقط نمضي مع الجموع ونلقي اللوم على البيئة أو المجتمع حينما تسوء حياتنا أكثر !

أو نحلل الموقف ونعلم أننا هنا لان خيارات ذوينا كانت سيئة ولكن لن أكون هنا الى الأبد ولذلك علي أن أغير طريقة تفكيري لتتغير قرارتي ومن ثم يصنع مستقبل أخر .

في الخيار الأول المعادلة واضحة المعالم والنتيجة , فقد تسجن أو تقتل أو تبقى معدوما كما انت وسترى الكثير ممن حولك هكذا .

فيما الخيار الثاني سيجعلك تقوم وتبدأ بوضع خطة وتحليل كل مشكلة قد تواجهك , ستسقط تارة وتقوم تارة , سنواجه مشاكل تحل من خطوة واحدة وأخرى تحل من ألف خطوة فلا وجود لمشكلة ليس لها حل .

في الخيار الأول سينقص الفرد الشجاعة لان يقول لكل من حوله أنتم مخطئون !

فيما الخيار الثاني فصاحبه يتحلى بتلك الشجاعة التي تجعله يقف ويشير الى الأخرين بأنهم مخطئون ويذهب لكي يصنع طريقه بذاته .

فالحياة عبارة عن خيارات , فلو لم يبر قسطنطين بقسمه لالهة المسيح لما كان وجه التاريخ كما هو الان

لولا قرار أديسون لاحتاج العالم مدة أطول لكي يعرف النور وقد لا يعرفه أصلا !

لو لم يتسائل كيبلر لما وصل نيوتن للجاذبية ولولا الجاذبية لما فهمنا كيف تتحرك الكواكب ماجعلنا نحدد تقويمنا السنوي !

لولا ملاحظة السيدة ماري مونتاغو لنساء الريف وكيف أنهم لا يصابون بالجدري كونهم يجرون بعض عمليات التطعيم بطريقة ما ونقل الفكرة الى أوروبا وان لم تطبق جيدا حتى أتى ادوارد جينر بطريقة التطعيم المعروفة لنا لهلك الملايين جراء الجدري وأمراض أخرى ! .

لولا همفري دايفي واكتشافه للتخدير لكنا الان نجري أتفه عملية بالام شديدة لا توصف ! .

قرارات فردية صاحبتها ارادة كبيرة غيرت من وجه الحياة والتاريخ فكيف لا تستطيع أنت تغير من حالك ؟

ما أنت عليه من سوء او حالة جيدة هي نتاج قرارات أتخذت بالسابق وما ستكون عليه غدا هي نتاج قرارات ستتخذ اليوم .

الارادة تصنع من لا شيء شيء حتى الامراض تشفى بالارادة والعزيمة والتصميم فلا مستحيل مع الارادة .

تعلم وطور من ذاتك مادمت تستنشق الهواء ولا ترضى عن ذاتك رضا يجعلك تتوقف عن النمو .

لا حدود لقوة الارادة ولكي تدرك قوة الارادة فقط ابحث عن " هيلين كبلر " واطرح على نفسك سؤالا ماذا ينقصني ؟ .

وكما علمت أن البيئة منحتك خيارين اما بالتماهي معها او تغييرها وهذا في الشان الخاص , فانها أيضا تقول لك لا تقسو بالحكم على أحد فلو اختلفت ظروفه لما كان كذلك وهو يدفع ثمن قرارات سيئة تم اتخاذها من قبله أو من قبل ذويه .

لا تقسو بالحكم بل خذ بيده وقدم له المساعدة وكن مصباحا له , فالمخطئ يحتاج لمن يأخذه الى الطريق الصحيح لا لمن يسخر منه , والمسيء أو المجرم يحتاج الى الشفقة لا الى القسوة , فالشفقة ستغير حاله الى الأفضل وبالقسوة نبقيه كما هو أو نهوي به الى الأسوء .

ومن منا لا يخطيء حتى نتجرأ على القسوة وأن نحكم على هؤلاء تعيسي الحظ كما يصورهم ديستوفسكي في رائعته منازل الأموات ؟

من منا لا يخطيء ؟

لا أحد بل نحتاج الى ان نخطيء , بل من حقنا أن نخطيء لكي ننمو لكي نتعلم لكي نصل الى أهدافنا .

قد ترى شخصا وادعا طيب القلب مسالما ولكن أحدهم أخرجه عن خلقه وحمله مالا يحتمل فأخطا في كيفية تعامله مع غضبه وقتل الطرف الاخر , فهل من العدل أن نمحي حياته كلها ونضع الحدث كبداية لصفحة حياته ؟

هل من العدل أن نجعل هذا الشخص في مكان يساوي من يتلذذ بالقتل ؟

اننا نكيل بمكيالين ظلما حيث أنه من الممكن أن يقتل أحدهم ويسمى جنرالا وتعلق الأوسمة على كتفه وتزين صدره ونصفق له ونصفه بالبطل مع أنه قتل الالاف !

ومن الممكن أن نمحي حسنات شخص بأكملها لأنه أخطأ في كيفية تعامله مع موقفا ما وبدلا من أن نشفق على تعيس الحظ هذا نقسو عليه باسم العدالة !

فأين العدالة في ذلك ؟

لطالما قلت أن المشكلة ليست في الاله ولا في بوذا أوابراهيم أو محمد أو كونفوشيوس أو عيسى أو كرشنا أو موسى

ولا في فلسفة ماركس أو رؤية أدم سميث ولا قسوة نيتشه أو جمال روح غاندي , بل المشكلة في الانسان! .

هذا الكائن ذا القدمين يسقط أفكاره ورغباته على الاله أو ابراهيم أو بوذا أو محمد أو عيسى ويقول لك : هذا هو مراد الله وطريقة النبي أو القديس فلان وعليك اتباعه وأنا متأكد أن كل هذه الاسماء ستقف ضد ما ألصق عليها

هذا الكائن الضعيف تعوزه الشجاعة في أن يقرر لنفسه كيف يعيش فيجعل المجتمع أو المعتقد يختار عنه ومن ثم يلوم الاله أو القدر !

رحماك يارب لكم ظلمناك !

تخيل معي شخص يأكل باستمرار حتى زاد وزنه بشكل كبير وذات يوم وقف أمام مرآة ونظر لذاته ورأى ماحدث له :

هنا أمامه خياران :

أولهما أن يستمر على ماهو عليه ويزداد وزنه أكثر وتكثر أمراضه ومن ثم يصلي للاله لكي ينقص وزنه من دون فعل وهذا لن يحدث ! .

وثانيهما أن يعلم أن ماهو عليه الان نتاج قرارته السابقة وعليه أن يقرر من طريقة عيشه ويتسلح بالعزيمة ويعمل بجد لكي يغير ماينظر اليه الان .

فأين الخيار الصحيح وأين الخاطئ ؟

ولكل خيار سلوكيات مرتبطة به من كسل في الأول ونشاط في الثاني من انهزامية في الأول وقوة ارادة في الثاني من سذاجة في الأول وذكاء في الثاني !

لم يتطور الانسان الا حينما بدأ يفكر بذاته , فأنتج العلوم والقوانين والنظريات ومازال يعمل على فهم العالم ولكن من يقومون بذلك هم قلة أمام أكثرية لا تعمل .

لليابانيين أن يفخروا بقرارات أجدادهم التي وضعتهم على الطريق الصحيح وعلى الكثير منا ان يحزن من قرارات أجداده التي وضعته تحت الاحتلال أو تحت الفقر !

.

ولطالما أكبرت رأي أفلاطون بأن من يتضرع للاله يحاول أن يرشيه , فالعالم مليء بالمعابد ومع ذلك مليء بالقتل والجوع ! هناك خطأ ما !

ان كان الاله وهبنا قدرات فلكي نشكره علينا أن نفعلها ونستخدمها بأفضل الطرق لا أن نتبع عقائد معقدة وتعقيدات وكهنة يكذبون بقولهم أنهم حازوا الحقيقة !

لقد رأيت الكثير من الفقراء ولكن لم يسبق لي أن رأيت عالم دين فقير ! لا أدري لماذا !

قد ترى أحدهم يدعو لكي يحصل على تفاحة وترى أحدهم يبذر ويسقي ويعمل لكي يحصل على شجرة تفاح فأيهما يحترم من قبل الاله ؟

الثاني بلا شك ! .

الحياة مجرد قرارات فأسعى لذلك وشد بيد من حولك لكي يتخذوا الخيارات الصحيحة أيضا .

اقرأ ثم اقرأ ثم أقرأ ثم أقرأ لأخر قطرة دم تجري في عروقك , واختر كتبك بعناية فائقة لكي لا تسمح لمن يهدر أشجار كوكبنا ويكتب كتابات رديئة بان يوجد .

قرر لصحتك .... لعقلك ... لذاتك ... لمن حولك ... قرر وخذ بزمام حياتك وقف بقدمك دائما مبتسما وأمضي من هدف لهدف .



الآن

قد يختار البعض طريقا اخر غير هذا الطريق المجهد وهو طريق تغييب العقل بالمخدرات والمشروبات الروحية .

فالبحث عن الذات طريق للاعلى فيما تغييب الحس طريق للأسفل ولطالما كان الارتقاء أصعب من النزول , لهذا يتجه الكثير الى هذا الطريق والذي يجعل الفرد يشعر بالاغتراب أكثر فيزيد في الجرعة وكلما زاد في الجرعة كلما أنعكس ذلك على مستواه العقلي والانتاجي والصحي بالسلب حتى يؤدي ذلك الى ما لا يحمد عقباه .

ومع أن الانسان كائن هرموني وهذه المواد تستهدف زيادة هرمون السعادة مايضفي على الانسان جوا زائفا من البهجة والسرور , ولكن هل الهدف الحقيقي من تعاطي هذه المواد يكمن في البحث عن السعادة ؟

في المستوى الظاهري نعم ولكن في المستوى الباطني لا , فالانسان بادراكه يصنع تعابير الزمان (الماضي-المستقبل) بينما الزمان كتلة واحدة .

ولا وجود حقيقي الا للحظة الراهنة التي يحياها الفرد والألم ينتج من محاولة الانسان عدم الانسجام مع هذه اللحظة !

فهو كثير التفكير في المستقبل والحزن على الماضي مع أنه لا وجود لهما !

ويحاول تغييب حسه عن طريق تعاطي هذه المواد فقط ليغيب عن الان ! مع أنه لا يملك الا هذه اللحظة مايجعل الفرد يدخل في عراك مع ذاته !

فهناك من يهرب من ذاته و هذه اللحظة بتعاطي المواد المخدرة , وهناك من يهرب من ذاته واللحظة بالانهماك في العمل ! , وهناك من يهرب من ذاته واللحظة بالخلود الى النوم ! , وهناك من يهرب من ذاته واللحظة بالانغماس في الجنس , وهناك من يهرب من ذاته واللحظة بالأكل بلا سبب ! , وهناك من يهرب من ذاته واللحظة عن طريق التنسك والزهد والتماهي مع معتقد ما .

فطرق الهروب من الذات تختلف من فرد الى أخر والهدف يبقى كما هو (الهروب من الذات والان) !

اللحظة الراهنة هي كل ماتملك , ما أنت عليه اليوم نتاج قرارتك السابقة وماستكون عليه غدا نتاج قرارتك اليوم , فبدلا من التفكير في الغد عش اليوم بأفضل طريقة تريد أن تعيش بها

تعلم ومارس هوايتك واختلط باصدقائك وأهلك وأقرأ وأستمع لمقطوعتك المفضلة وفنانك المفضل , قم باهدافك وما أن تنتهي من هدف حتى تضع هدفا أخر وتكافئ



ذاتك على انجازك , ساعد من حولك بعبارات المديح والتشجيع , عش في المنزل الذي تريد أن تعيش فيه والبس الزي الذي تريد أن تلبسه وأخرج كل مالا يتناسب معك من حياتك مهما كان هذا الشيء مهما وضروريا ! .

قد يكون مايمنعك من أن تعيش حياتك بالطريقة التي تريدها عادات بلد ما فأترك هذا البلد !

زيجة فاشلة فلما تستمر فيها ؟

بيئة عمل لا تناسبك فلما أنت باقي في ذلك المكان ؟

علاقات قرابة تنغص حياتك فلما تفسح لهم مجالا في حياتك ؟

صداقات انقلبت حواجز أمامك وحجب تمنعك من عيش حياتك فلما أنت مستمر فيها ؟

عائلة جعلت من المنزل جهنم صغرى فلما أنت عضو في هذا المنزل ؟

تخصص جامعي لا يناسبك فلما تدرسه ؟

لباس لا يعجبك فلما تلبسه ؟

للأسف أن تعيش كما تفضل أنت فهذا يحتاج الى شجاعة وارادة كبيرة كون الكثير ممن حولنا لا يملكون الشجاعة على أن يعيشوا كما يريدون ولكي لا يكتشفوا جبنهم سيحاربون كل من يحاول أن يعيش بطريقته الخاصة وفق أهدافه وأفكاره هو لا أفكار المجتمع !

أن تفكر كما تريد في المجتمعات المنغلقة أمر خطير جدا فكل أفراد تلك المجتمعات ستنقلب وحوشا ضارية ضدك وهذا ماحدث لموسى وعيسى ومحمد وسقراط وأرسطو وبويثيوس وابراهيم وجيوردانو برونو وداروين وغيرهم .

فتقدم المجتمعات نتاج طبيعي لمناخ الحرية المتوفر لافرادها ما أنتج الكثير من الاختراعات والمذاهب الفلسفية والنظريات العلمية .

وعلى العكس نرى المجتمعات المختلفة والتي غالبا ماتكون منظوية تحت فكر واحد أكان هذا الفكر دينا كأوروبا في القرون الوسطى والعالم العربي اليوم أو فلسفة كالأشتراكية في الاتحاد السوفييتي والصين سابقا .

ومصير هذه الدوغمائيات غالبا هو العدم والاندثار والحروب وانتشار الامراض لان العقل لا يكون فاعلا في مثل هذه المجتمعات لذلك لا يستطيع أحد أن يعيش فيها برفاهية مالم يكن فاسدا سواء بيده أو بفكره ! .



اللحظة هي كل ماتملك وقد قال بهذا أرســـتبوس وابيقور ســـابقا وكذلك بوذا وعلى الانسان أن يدفع الالم عنه ولكن سنمضي أكثر ونقول على الانسان أن يبدد وهم الأنا الزائفة أولا ومن ثم ينسجم مع ذاته ويفعل كل مايشعره بالسعادة ولكن قبل ذلك عليه أن يعرف ذاته وهذه رحلة مهمة جدا .

فمن الخطر أن يطلق شخص لا يعرف ذاته العنان لرغباته فيضر نفسه ويضر من حوله ! .

لن تســـتمتع في هذه الحياة مالم تعرف ذاتك عن طريق نبذ كل ماهو ليس بأنت ومن ثم التأمل فيما حولك وتطوير طرق تفكير خاصة بك ومن ثم الانسجام مع ذاتك .

الكثير يعتقد أن التماهي مع ديانة ما سيفضي الى التنور وهذا خطأ بل ان الكثير ممن يتمسكون بمظاهر وشكليات المعتقدات هم يعيشون في وهم الحقيقة ووهم السعادة حيث يدعي السعادة ومخرجات فكره غالبا ماتكون كراهية وحقد على الاخر ! .

فالحب لا ينتج كرها والسعادة لا تنتج شقاءا , فمن يعرف ذاته تراه سعيدا ويجعل من حوله يشـــعرون بذلك ايضـــا ولا يمكن أن يحرض على القتل أو الكراهية لذلك العقلية الفقهية لن تذوق معنى السعادة أبدا .

فرق بين الدين بمعناه التطبيقي ووهم الدين الدوغمائي الارثوذكسي بالتعاليم والفقه !

فالدين التطبيقي عقد مع الحياة يجعل من الفرد انســان متفاعلا مع ماحوله وصـــاحب خبرات عملية , حيث أن الدين التطبيقي يكون مجرد الخيار الصحيح في كافة شؤون الحياة من علاقات الفرد مع من حوله الى علاقة الفرد مع ذاته وليس شيئا يستوجب جنة ونار والدين التطبيقي يدور في فلك اللحظة .

عكس الدين الارثوذكســـي المليئ بالكلمات والخالي من الأفعال والمعقد بالكلام الذي لا طائل منه والذي ينتج رجال دين من جهة وينتج اناس بفكر سطحي للغاية ويؤمن أرض خصبة للخرافات والاساطير والكراهية والحقد على الغير ويوقع عقد استقالة من الحياة حيث يكون محور فكره الاخرة وجنة ونار !

ولو تأملنا محمد ســـنجد أن أفكاره التي أتى بها أفكار تطبيقية (عدل – مســـاواة – تكافل) فلو كان محمد يريد دينا أرثوذكســـيا لجلس وبدأ يدعو الناس باسم الاخرة لا باسم الاخلاق والحياة .

ولو كان عيسى يريد دينا أرثوذكسيا لما كانت حياته عبارة عن مواعظ أخلاقية تدور حول فلك اللحظة .

ولو كان موســـى يريد دينا أرثوذكســـيا لمكث مع بني اســـرائيل في ذلهم بدلا من أن يطالب بتحريرهم ! .

الدين يجب ان يكون عقد مع الحياة لا اســتقالة منه , والانبياء أتوا بدين فلكه اللحظة والكهان أتوا بدين يدور حول حياة أخرى لذلك الأول ينتج متنورين والثاني ينتج متعصبين .

فحينما تكون الأولوية للحظة سنرى الاختراعات والتقدم نتيجة حتمية لهذا المجتمع , وحينما تكون الاخرة محور الفكر سنرى الحروب الدينية نتاج طبيعي لهذا الفكر .

وعالمنا العربي يعج بالنوع الثاني حيث دين الكهان دين لا يحل في مكان الا وجلب له الدمار , دين أرثوذكســـي يهتم بكيف ينبذ الاخر من الارض والجنة ويعبد ذاته ويجعل الاله يدور في فلك أرائه هو وجماعته فقط .

لذلك لا أستغرب تخلف العالم العربي ولا انتشار القتل والدمار فيه كونه نتيجة حتمية للموروث الديني وطريقة تفكير المجتمع .

ابحث عن ذاتك وتذكر ما أنت عليه اليوم نتاج قرارتك بالأمس وما أنت عليه غدا نتاج قرارتك اليوم ! .

لست أنا

أنت لست أسمك ومتوالية الحروف التي تسبق اسمك ....

فكل شيء حولك أتى من شيء وذاك الشيء أتى من شيء أخر ولكن نرى الأنسان الوحيد الذي يقدس أسلافه ! ...

ذات مرة صادف مرور الاسكندر الكبير مكان اقامة ديوجانس والذي لم يلقي له بالا .

فساله الاسكندر : ماذا تفعل ؟

ديوجانس : أبحث عن عظام ابيك من بين رفاث عظام البشر ولكن لا أكاد أفرق بينها !

هذا الحوار والذي أعدت تكراره في الكتاب هو حوار بين انسان انغمس في المايا (الوهم) وبين انسان عرف ذاته الحقيقية .

ومع أن ديوجانس هو المتنور والاسكندر الكبير هو المنغمس في الوهم الا أن العالم يعرف الأسكندر الكبير ولا يكاد الأغلب قد سمع بديوجانس وان دل هذا على شيء فهذا يدل على أن بنية أفكارنا هي بنية تستند على الوهم وتمجد الطغاة ومازالت تعيش في أدوار محددة على مسرح الحياة .

لقد أتينا الى هذا العالم بلا أسماء وكنا منسجمين مع المطلق , ننتمي الى العالم الكبير , ولكن أتت المسميات لتفرض علينا لونا واحدا من الفكر والعادات والتقاليد والمعتقدات فأصبحت نظرتنا الى العالم نظرة مصابة بعمى الألوان لا ترى الا اللونيين الأبيض والأسود اما معنا واما ضدنا !

هذه النظرة هي أساس كل الحروب , فكل صفات الخير ستنسب الى النحن وكل صفات الشر ستنسب الى الأخر بطريقة مكارثية ستفضي الى كارثة .

ومن غرائب البشر اهتمامهم بهذه المسميات حيث على الفرد قبل أن يفعل شيئا أن يتذكر اسم العائلة أو منصبه او حتى مجرد اسمه !

مايجعل الفرد يخاف من الخطأ ومن يخاف من الخطأ لن يتعلم شيئا وسيبقى يراوح مكانه الى الأبد .

لذلك المجتمعات التي تهتم بالمسميات ومايقوله الأخرين عنهم غالبا ماتكون مجتمعات متخلفة ورجعية ولا سبيل للتجديد فيها حيث أن مثل هذه المجتمعات تستحيل الى أنظمة تبرمج كل من ينتمي لها على تردد واحد وكل من يخرج عن هذا التردد فقد جلب العار لاهله !



فلا وجود للحب أو الصـــــداقة في مثل هذه المجتمعات التي تكثر فيها الأقنعة الزائفة والمجاملات .

أنت لســت اســمك هذه حقيقة عليك ادراكها فقد تم تســميتك لان اللغة توجب ذلك لا أكثر فكيف تتماهى مع هذه الأحرف **؟!**

أنت لست معتقداتك ....

من أهم وأسوء صور الوهم في الحياة دور رجل الدين

فالدين ليس شـــيئا ملموســـا كالجواهر يحتاج لمن يحميه , وليس حزبا يحتاج الى منظرين وأعضاء , وليس بمفهوم ليتم تدريسه .

الدين تطبيق عملي للاخلاق تجعل من الانســـان فردا كاملا , فلا يعامل غيره الا بأمثل طريقة يحب أن يعامل بها ولا يخرج منه الا كل جميل .

كل الفلســـفات أتفقت على هذا المفهوم ومع هذا العالم مليئ بالصـــراعات بين أناس يؤمنون بهذا المفهوم !

فهل هم حقا يتبعون هذه المفاهيم الأخلاقية ؟ أم أنهم خلقوا دينا على هواهم ونصـــبوا الها منهم ؟

نظرة واحدة على تواريخ الأديان تنبئنا بالاجابة حيث البشـر خلقوا أديانا على هواهم ونصبوا آلهة على هواهم ايضا .

فالكنيسة تختلف عن عيسى ...

والفقه يختلف عن محمد ....

واليهودية تختلف عن موسى ... والتيرافادا ليست ببوذا

فهذه الأديان المركزية فيها ليسـت للأخلاق والأنسـان كما كان أصـحابها يقولون في حياتهم , بل المركزية لرجل الدين المتربع على عرش الوهم حيث أنهم يعتقدون أنهم حازوا الفضـــيلة بمجرد لعب هذا الدور وأنهم يرون مالا يراه الأخرين فيحكمون بالجنة والنار والخلاص والهلاك وغيرها من المهازل المسجلة في أدبياتهم .

فرجل الدين هو عبارة عن شـخص بلا موهبة أو مهارة وقد يكون قد فشـل في مجال ما أو لم يحظى باحترام من قبل المجتمع فأراد أن يحوز هذه المكانة بلعب دور رجل الدين وغالبا ماتراه حول الحكام ولا ينصـــح الا الفقراء من الناس وحينما يتكاثرون في مكان أو زمن ما يكثر الجهل .

يحكى أن لندن فشـــى فيها مرض الملاريا وهرع الناس الى القس الذي دعى كثيرا والمرض مازال يحصد أرواح البشر ولم يسيطروا على الموقف حتى تم بناء شبكة تصـريف مياه ومجاري فبدأت سطوت المرض تتلاشـى حينما أيقن الناس زيف دور رجل الدين .

أنت لســت معتقدك الجغرافي ولك حرية الأعتقاد بما تشــاء وينبغي عليك احترام كل معتقدات البشــر ويجب أن تعلم أن ماتراه حقيقة هو مجرد اضــحوكة عند الأخر فلا تدعي انك تملك الحقيقة أبدا .

ولا تتكلم عما تؤمن به ولكن اجعلني اراه في تصرفاتك ...

أنت لست وطنك ....

" حيثما أشـــرقت الشـــمس يكون وطني " هكذا رد دانتي العظيم على من نفاه من فلورنسا ".

نظرة واحدة من الفضـــاء الى الكرة الأرضـــية وســـتعرف أنها عبارة عن صـــفائح متحركة بينها مساحات من المياه نشأت جراء انفصال هذه الصفائح عن بعضها ولن ترى أي نوع من الفواصل الحدودية المسماة دولا .

حينما تحول الانســـان الى الزراعة وبدأ يتملك بدأ يرســـم حدودا له ويقاتل لأجلها مع أنه لا يملك أي حق في ادعائه بأنه صاحب قطعة الأرض هذه !.

فالحدود النسبية تعكس نسبية من يؤمنون بها عكس الاندماج مع المطلق الذي يسعى له الأنسان وسائر الفلسفات التي ركزت على الأنسان .

فالكرة الأرضـــية اســـتطاعت أن تحتوي العديد من الكائنات الضـــخمة ووفرت لها مساحات كافية للتنقل وكميات هائلة من الغذاء ايضا ولكنها لم تستطع احتمال عجرفة هذا الكائن الذي يمشي على اثنين والذي يملك استعدادا لحرق وتدمير جزء من الكرة الأرضية لتأمين جزء أخر .

فكلمة وطن من المفترض أن تشير الى المكان الذي ترعرع فيه الفرد وقضـى جزءا من حياته هناك ولذلك يرتبط عاطفيا بذلك المكان وهذا طبيعي وفطري .

ولكن لا يعقل أن تستعمل مشاعر الحب لاغراض الكره والتدمير

فكلمة وطن أصبحت تظل الحب والكره معا

فلكي تثبت حبك للوطن عليك بتدمير الأخر ! , ولكي تحفظ وطنك عليك بتدمير وطن الأخر !

ولكي تحفظ أهلك عليك بتشتيت أسر المجتمع الأخر !

ولكي تستمتع بالشمس على رمال شاطئك عليك بتغييب بحر الأخر !

هذا هو معنى الوطن في أيامنا هذه , وهذا هو دور الجندي البائس جدا والســاذج جدا كون الجندي يقف في جبهات القتال ويفقد أطرافه وقد يقتل فيما الأوســـمة ســـتزين صدر الجنرال !

ومن المضـحك المبكي أو أعكسـها ان شـئت أن من يقتل العشـرات سـيكون ارهابيا ومن يقتل الالوف يتحصل على الأوسمة !

هنا قتل وهناك قتل ولكن الفارق أن من قتل في الحادثة الأولى هم من ينتمون الى الوطن وفي الحادثة الأخرى من ينتمون الى الوطن الأخر فاللعنة عليهم اذا .

ومازلت أتسـائل لما لا نبني سـاحة كبيرة ونطلب من حكام الدول المتصـارعة بأن ينزلوا الى الحلبة ويتقاتلوا ونقسم المدرجات بين الدولتين بالتساوي لكي يحضى كل فرد فيهم بالتشـجيع ونضـع أمين الأمم المتحدة حكما ليفيد العالم بدلا من التعبير عن قلقه والفائز فيهم سيفتخر به الجمهور ويقيمون الاحتفالات له ! .

لو فعلنا هذا ستختفي الحروب وستختفي صناديق الأقتراع أيضا ! .

لا تسـمح لأحد أن يسـتعبدك بكلمة وطن بهذا المعنى المبتذل حيث الوطن هو المكان الذي تشعر بعاطفة نحوه فان لم يبادلك الشعور احمل حقيبتك واتجه بعيدا !.

فالمنظومة العسـكرية تقوم من خلال سـحق اسـتقلالية الفرد وتحويله الى أداة في يد سياسيين أصحاب مطامع شخصية ومن ثم يتم ارساله باسم شعارات وهمية كحب الوطن والدفاع عن الوطن ليقتلوا بشـرا لايعرفونهم ويحققوا مطامعهم ولو كانت قضاياهم عادلة لرأيتهم في مقدمة الجيش ولكنه التلاعب بالألفاظ ! .

لا يمكن للحب أن يتوسـل الكره , لا يمكن أن تثبت الحب بالقتل هذا لا يعقل فأنت قبل كل شيء تنتمي الى الانسانية ...

لست ماضيك ولست مستقبلك ..

الثانية تتكون من تســـعة أجزاء قابلة للزيادة , فقرائتنا لكلمة (منزل) اســـتغرقت جزأين أو أكثر من الثانية ولا نعلم ايهما الحاضر وأيهما الماضي .

فالزمان كتلة واحدة ووعينا من يقسمه لماضي وحاضر ومستقبل .

ولو قطعنا شـوطا أكبر سـنجد مخلوقات تولد وتتكاثر وتشـيخ وتموت في أجزاء من الثانية !

وسنرى أيضا نجوم تولد وتكبر وتشيخ وتنفجر بعد وصولها الى مرحلة السوبر نوفا أو تتحول الى ثقب أسود في ملايين السنين !

بل أن ضـوئها يصـلنا بعد ملايين السـنين الضـوئية لنرى صـورة النجم قبل ملايين السنين الضوئية ! .

فان كانت مفردات ماضـــي وحاضـــر ومســـتقبل من جواهر الزمان لما كان هذا الاختلاف بين النجم وبين بعض الكائنات المجهرية ؟

فالزمان هو البعد الرابع لنا والزمان والمكان شيء واحد ولكن

هل نقصد بالماضي الزمان حقا ؟

أم نشير الى أحداث وقعت من قبل ؟

فكلمة ماضـــي تشـــير كبنية الى الزمان وكحقيقة الى الأحداث التي وقعت , فالزمان مجرد أحداث كما يقول برغسون .

وهذه الأحداث تنتج مشـــاعرا تتمايل بين الايجابية والســـلبية ولكن هل الايجابية والسلبية تأتيان من جواهر الحدث ؟

أم مجرد صبغة نصبغها نحن على الحدث ؟

وأميل الى الرأي الثاني حيث أن المفاهيم من حيث هي لا تكون خيرا أو شـــرا وقد سبق ان اشرنا الى رد الرواقية على حجة ابيقور فالحدث يبقى كما هو على المستوى الباطن ونحن من نتولى مهمة تصميم المظهر الخارجي له !

وفي كتاب الطاو تي شينغ للحكيم لاوتسيه نرى قصة جميلة تجيب على سؤالنا :

يحكى أن حصـــان فلاح صـــيني هرب ذات يوم , فاجتمع اهل القرية ليخففوا من وجعه وقالوا : أي شر أصابك ! فرد الفلاح في هدوء من يدري ؟

وفي صباح اليوم الثاني عاد الحصان ومعه ستة جياد يقودهم الى حظيرة الفلاح , وأجتمع أهل القرية مرة أخرى وهم يقولون : ما أجمل حظك ! ورد الفلاح بهدوئه المعتاد : من يدري ! .

وفي اليوم الثالث ارتقى ابن الفلاح ظهر أحد الجياد البرية فسقط على الارض وأنكسرت يده , وأجتمع أهل القرية مرة أخرى وهم يقولون : ما أتعس حظك ! ورد الفلاح ببرود : من يدري !

وفي صبح اليوم الرابع حظر مسؤول التجنيد ليجند شباب القرية فحمل معه جل الشباب وترك ابن الفلاح ليجتمع أهل القرية عنده ويقولوا : ما أجمل حظك ! ويرد الفلاح : من يدري ! .

لقد كان الفلاح مصيبا فقد تعامل مع الحدث ولم يلصق عليه أي ملصق ولم يصنفه وتركه كما هو فأحسن التعامل في كل الحالات عكس أهل القرية الذين مالوا حيثما مالت أرائهم .

لذلك انت لست ماضيك, فالكثير من البشر تتوقف حياتهم عند أحداث معينة كموت حبيب أو مرض أو حالة اعتداء أو خسارة فادحة ويبدأ المرء بالنظر الى الزوايا السلبية مايجعل كتلة الألم تنمو عند الفرد فيغدوا كائنا سلبيا مقادا من قبل الاميجدولا (منطقة في العقل مسؤولة عن المشاعر وتضخم هذه المنطقة يحول حياة الفرد الى جحيم) وهرمونات القلق كالكورتيزول والادرينالين .

وزياجة هذه الهرمونات مؤذية جدا للجسم حيث تفرز في حالة احساس الفرد بالخطر لتزيد من طاقته ولكنها أيضا تفرز في نوبات الحزن والغضب التي تصيب الفرد كون العقل لا يميز بين الخيال والواقع فبمجرد استذكارك لحدث ما بطريقة سلبية ستطلق العنان لافراز هذه الهرمونات والتي تودي بحياة الفرد على المدى البعيد .

والعكس يحدث حينما ننظر للعالم من منظار ايجابي حيث يفرز الجسم هرمون السعادة (الدوبامين) فيشعر الفرد بالسلام والهدوء .

عود ذاتك على الايجابية حتى تصبح عادة , وواجه الأحداث كما هي دون تصنيف لها , وأوجد عادات صباحية تساعد على جعل يومك هادئا ....

فألنت لست بماضيك ......

أنت لست ممتلكاتك....

رجل يشتري سيارة بعشرات الملايين ليكون أحد ثلاث يملكون هذه السيارة !

وأخر يقف أمام متجر للهواتف الذكية لأيام وليالي ليكون من طليعة من يحصـــلون على الجهاز ! .

وأخر يفني حياته ليحوز على درجة الدكتوراه ويسبق اسمه بحرف الدال ! .

وأخر يذبل عمره وهو يجمع المال ويلتقي في طريقه شـخصـا أفنى عمره ليصـبح حاكما ويجلسان في سريرين متقابليين في المشفى ! .

لا تسـتغرب ممن يبحث عن ذاته في رقم هاتف مميز أو لوحة سـيارة مميزة وممن يبحث عن حرف الدال قبل اسمه فكلاهما يبحثان عن ذواتهما في هذه المجالات ! .

فالانسـان يولد بلا اسـم وهذه معلومة كررتها كثيرا هنا وبلا ديانة وبلا انتماء وبلا مجتمع ولكن يتم فرض تلك الأشـياء عليه فيشـعر بالاغتراب عنها ويحاول فرض ذاته عن طريق :-

1- التماهي مع هذا المجتمع أو الفكر أو الدين :

حيث الفرد يصبح متعصبا ويجد ذاته بالمجتمع أو الدين أو الفكر فيعادي كل من يختلف مع الصـــورة التي تماهى معها كونه ليثبت وجوده عليه أن يحافظ على وجود تلك الصورة التي تماهى معها أكانت دينا أو عرقا أو فلسفتا .

ومثل هذا الشخص يصبح مجرد آلة في يد الساسة والكهنة فيستغلونه للوصول الى مطامعهم الشخصية .

وهذه الشـــخصـــية تظهر في الجماعات الدينية والمجتمعات المنغلقة والقرون الوسطى تعتبر العصر الذهبي لهذه الشحصية حيث تواجدت في أوروبا تحت الكنيسة وفي العالم الاسلامي تحت الخليفة .

ومن سـمات هذه الشـخصـية المتماهية التعصـب كون وجوده يسـتدعي وجود الصـورة كما قلنا ومع أنه شـعر بغربته عن الصـورة التي تماهى معها الا أنه خاف من أن يسلك طريقا جديدا واختار التحول الى آلة .

2- حملة الشهادات والساعين الى الشهرة والسلطة :

لا يخفى عليكم مع وصـولكم الى هذه الصـفحة أن الشـهرة والسـلطة من شـهوات النفس والتي تدل على عدم معرفة الفرد بذاته .

ولكن قد يستغرب البعض لما أضفت حملة الشهادات الى هذه الفئة ؟

وسيزول هذا التعجب لو نظرنا الى عدد حاملي شهادات الدكتوراه في العالم العربي ومن ثم نظرنا الى حجم انتاجهم العلمي ! .

فالعلم وسيلة للفهم والادراك وتوسيع الأفق العقلية حيث أنه مع كل عملية فكرية جديدة يزداد عدد العصبونات في العقل مايضيف للفرد أبعاد أخرى وزوايا جديدة للحكم على الأمور .

ولقد كان فيثاغورس محقا وهو ينتقد وصف الأفراد بالحكمة حيث هذه الكلمة تشير الى شخص وصل الى شجرة المنتهى بالنسبة للعلم وهذا محال في عالم البشر النسبي لذلك استعاض عنها بحب الحكمة .

فالفارق بين الطالب والمعلم مسافات قطعها الثاني قبل الأول وسيقطعها الأول ان أراد ويتجاوز معلمه ان وقف بلا حراك وأطلق على نفسه وصف حكيم .

لذلك العلم وسيلة لكي نعرف ذواتنا ونوسع مداركنا ونرضي النهم المعرفي لدينا .

فيما الشهادات أضحت أهدافا بحد ذاتها ناهيك عن أنها أصبحت مجرد شكل من أشكال الاستهلاك في العالم الرأسمالي الذي نعيش فيه .

فالمشكلة ليست مع الشهادة حيث أنها مجرد ورقة لا أكثر ولكن المشكلة الوهم الذي تخلقه هذه الشهادة لصاحبها وللاخرين وأيضا الجامعات لم تعد تقدم علما أو شغفا بالعلم بل أصبحت تقد هذه الوريقات لوضع حرف (د) أو (م) قبل الاسم وهذا امعان في عدم معرفة الذات .

فمن يعرف ذاته يود أن يتخلص من اسمه ناهيك عن وضع حرف قبله يخلق هالة من القداسة الموهومة عند البسطاء .

فمن يفرح بلقب دكتور أو مهندس أو لاعب أو شيخ أو علامة أو محاضر أو خبير هو مجرد شخص يبحث عن ذاته بعدما أحس بالغربة عما حوله ووجد ذاته في هذه المسميات التي تعطيه دورا أفضل في مسرح الحياة لا أكثر .

المبدع يبدع لذاته ولن ينتظر من الاخرين أن يصفقوا له ناهيك عن أن يخبروه ماعليه فعله

ولأنه لا يهتم بأقوال الاخرين ستراهم يقفون مجبرين على التصفيق له .



لذلك تعلم لكي تفهم ولكي تبدع في مجالك الذي تحب ولا تغتر بهذه المســـميات الاستهلاكية بل مارس عملك الذي تحبه وترى ذاتك فيه وطور من ذاتك وأحصل على أكبر قدر من المعرفة والشـهادات ولكن لا تجعل هذه الورقة غاية بذاتها ولا تجعل شهاداتك تتفوق على انتاجك ...

3- معارض حقيقي :

هذا الصنف يدرك غربته عن مجتمعه فيصبح معارضا لكل مافي المجتمع

فان كانت مشــكلته مع العادات فســتجده ينبذها نبذا كاملا وان كانت مشــكلته مع الدين فسينبذه نبذا كاملا وسيحفر خندقا مواجها للخندق القديم ويدخل في صـراع معه .

وهذه الشــخصــية تتميز بالشــجاعة والجرأة حيث أنها لا تتماهى مع ماشــعرت بالاغتراب عنه ولا تسعى الى تحسين دورها في ذاك المكان بل تثور عليه ولهذا فهي أقرب الشخصيات للتنور .

والشيء الذي يحول بين هذه الشخصية والتنور هو التعصب ضد الاخر , حيث أن المعارض يقف ضـد شــيء ما عكس المتنور الذي لا يقف ضـد شــيء ما بل يزن الأمور كما هي ولا يميل كفة الميزان بنفسه بل يترك ذلك للموضوع .

ومن الاشياء المخيفة أن الانسان يصبح ما يقاومه بعد مدة معينة , فان كنت دائم الانتقاد لشيء حتى اصبح هذا الشيء هاجسا بالنسبة لك سترى نفسك تقوم بذات الفعل الذي انتقدته .

وأفضل من قد يشرح لنا شخصية المعارض في كلمات قليلة هو كونفوشيوس في صياغته للتبصرات الستة ومنها :

" الشجاعة بلا علم يا ليو , تفضي الى ضلال التهور ".

4- العارف بذاته :

وهو الشخص الذي يعرف ما ليس بـــــ(هو) , ويعرف أن مايعرفه مقارنة بما يجهله مقدار ضئيل جدا ولذلك تراه متجددا بستمرار وهادئ في كل الأحوال .

فمعرفة النفس تكمن في معرفة ما ليس بأنت وهذه المعرفة تقودك الى أن تكون مطلقا بلا قيود في جميع جوانب حياتك .

وهؤلاء قلة ولأنهم قلة يتركون أثرا , ككونفوشيوس ولاوتسيه وبوذا وكرشنا ومونشيوس وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وزرادشت ومزدك وغاندي وآنشتاين وتولستوي وماركس ومانديلا وأسماء أخرى عديدة .

ومعرفة مالست بأنت ليس بالأمر السهل , فهذا الكتاب مجرد بوابة ومصباح قد يساعدانك في رحلة البحث عن الذات والتي قد تطول سنينا , وقد تكون أشهرا وفي كل الحالات تكون رحلة بلا مسار أهم معالمها التيه فلا وجود لمسار معين , فقط تأمل وقراءة وبحث مستمر وتفكير ولهذا على الفرد أن ينعزل بذاته لكي يعيد النظر في كل أفكاره القديمة ويتأمل بصمت .

قد تكون رحلة شاقة ولكنها أهم رحلة يخوضها المرء , لذلك أطفئ مصباح الأنا الكاذبة وأنطلق .....

حب الاختلاف

أكاد أجزم أن عيسى لو عاد في القرون الوسطى لأتهم بالردة والهرطقة والتجديف والخروج على شريعة عيسى ! .

ولو عاد محمد اليوم سنرى ذات ردة الفعل وسيحاكم بتهمة الخروج على شريعة محمد .

فالمجتمع الذي ثار عليه محمد هو ذاته المجتمع العربي اليوم.

فلقد كانت قريش تعرف الله ولكن كانوا يرون أن الحقيقة تساوي الاسلاف { ان وجدنا ءابائنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون }.

ويرون بتمام العلم ولا يعطون الفرصة لمن يريد أن يتسائل عما لا يفهمه , ويؤمنون بالطبقية فهناك أشراف وموالي وعبيد ولا يحق أن يتزوج أحد من طبقة أخرى ويقال هذا دين ! .

لو تأملنا الهندوسية والبوذية والطاوية واليهودية والمسيحية والاسلام نرى أنها بدأت كأخلاقيات عملية وتحولت الى عقائد أرثوذكسية

فكل الأديان أجمعت على عامل الناس كما تحب أن تعامل ومع ذلك لم يطبق أغلب أتباع هذه الديانات هذه القاعدة الاساسية .

في ميدان الفكر نرى من اتبع صيحة ماركس هم ذاتهم من يقتلون ملايين الناس ! .

وبالمناسبة لو عاد ماركس أيضا لقتل بتهمة الخروج على أعراف الاشتراكية .

علميا تمتد حياة الانسان لمئات الالاف من السنين وكوكبنا له مايقارب 7 مليار عام ومع هذا دمر الانسان في أخر الف سنة الكوكب بشكل لم يحدث له من قبل .

عشرات الالاف من الكائنات الحية انقرضت وتقلصت المساحات الزراعية وارتفعت درجات حرارة الكوكب وتم تلويث مياه المحيطات والبحار ! .

بل لم يكتفي بذلك فواصل تدميره للفضاء الخارجي حيث مخلفات الاقمار الصناعية ومع كل مافعله هاهو يصفق بكتشاف مياه على سطح المريخ .

لم يكتفي بتدمير الكوكب بل يسعى الى "اكتشاف" حياة في مكان اخر على طريقة تم "اكتشاف أمريكا " !

لم يحترم الجنس البشري الاختلاف والذي هو أساس الحياة في هذا الكوكب وحاول فرض سيادته على ماحوله فدمر الكوكب ! .

ولو تأملنا الفلسفات الشرقية سنرى تركيزا على التماهي مع الطبيعة كمبدأ الـ " ووي" في الطاوية وحالة النيرفانا وتجسدات الاله الطبيعية في الهندوسية تختلف تماما عن اتجاه فرض السيطرة في الغرب .

والمسلمون وعلى رغم من ايمانهم بان القرآن كلام الله وهو ايمان لفظي في الغالب وليس بايمان فعلي فلو كان ايمانهم تطبيقيا لما كان حال المسلمين هكذا , يقرؤون قول الله { لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون }وأيضا { ولايزالون مختلفين ولذلك خلقهم } ومع هذا يفنون بعضهم لاختلاف الاراء ! .

لم أرى اكذب وأسوء من شخص يقتل باسم الاله !

فلو كان طريقي خاطئا أترك الاله ليعدله ويقول لي ذلك فهو على كل شيء قدير وليس بحاجة اليك ! .

ودعونا نتخيل هذا الموقف :

في احدى الفصول الدراسية سأل المعلم تلاميذه سؤالا .

فأجاب الطالب (أ) باجابة , والطالب (ب) باجابة أخرى , ونفس الحال مع الطالب ج) والطالب (د) .

ولكن بدأ الطالب (ب) بالهجوم على البقية لكونه يرى جوابه صحيحا بل زاد في حدته وبدأ يخرج الطلاب من الفصل بالقوة متعللا ان المعلم يريد ذلك واخرجهم من الفصل وبقي وحيدا وكان كل ذك على مرأى من المعلم .

ترى ماذا سيفعل المعلم ؟

هل سيقبل بهذا السلوك ؟ وهل يصح للطالب (ب) فعل ذلك ؟

بالطبع لن يقبل المعلم بهذا السلوك , ولا يحق للطالب أن يفعل ذلك .

والطالب (ب) مجرد مثال على ادوار رجل الدين .

فلا يحل رجال الدين في مكان حتى حلت على المكان اللعنة , حتى الانبياء كانوا يعاملون ويكسبون قوت يومهم ولكن هؤلاء لا ! .

جمال اللوحة ف تعدد ألوانها , وجمال قوس قزح بألوانه المختلفة , وجمال العلم بختلاف الرأى والأفكار ولذلك يتقدم العلم ويزدهر.

فكل محاولة للقضاء على الاختلاف وجمع الناس على رأي واحد ستدمر الكوكب .

تأمل جمال مظاهر الاختلاف كونه قوة خلاقة تضفي تنوعا على حياتنا عكس التعصب لفكر ورأي واحد ....

كن محبا...

كن محبا وأنظر بعين الجمال لكل شيء , اسمع باذن تحفل بالجميل وتعرض عن السيء .

حاول ان تقف أمام جبل لترى شموخه , أمام زهرة تتفتح ولا تشتم منها الا كل جميل , كن الزهرة وكن الجبل .

حاول أن تستمع لمناجاة الموج للصخر , حاول أن تفهم ذلك , وحاول أن تستمع الى صمت البحر ليلا حاول أن تفهم مايقوله الصمت .

حاول أن تقف أمام شروق الشمس حيث العرض الكوني الهائل الذي يمزج الفن مع الفيزياء مع الميكانيكا , انك ترى منظرا عظيما جدا يعرض يوميا فكيف لا تصفق له ولو ليوم واحد ؟

اشتري منظارا وتأمل الكون الذي يتألف من 10 متبوعة بأحد عشرة صفرا من المجرات وهي التي رصدها العلم الى الان مع العلم أننا نرى الضوء الذي صدر منها قبل ملايين السنين !

في هذا الكون الشاسع أنت الوحيد الذي يقف ويصفق لجماله , أنت الوحيد الذي يدرك روعته فلما الحزن ياصديقي ؟

وهل أدلك على شيء أفضل من هذا ؟

تأمل اخوتك البشر , تأمل جمال اختلافهم وروعة ابتسامتهم , حاول أن تخالط البسطاء كالفلاح الذي يفرح للمطر وينطلق ليمسك آلته الموسيقية فيتوقف الكون لسماع لحنه ..

كل مافي العالم يبتسم لك ان ابتسمت بصدق , ان عشت لغيرك , ان عشت لتمسح دمعة حزين وحينما يبتسم فلن تجد شيئا يساوي هذه البسمة التي زرعتها .

اقرأ لكي توسع أفق فكرك وكلما زادت معرفتك قل كلامك وحكمك على البشر وزادت ابتسامتك وعطفك على الاخرين .

وبعد أن تصفق للجمال عليك أن تنظر الى من خلق الجمال ببهجة كفنان ابدع في لوحته وروائي عظيم كتب ملايين القصص وكمهندس مبدع .

لا تدع احدا يخبرك بما يجب أن تفعله مع الهك الذي اخترته فهذه علاقة خاصة بك ولا تسمع لمن ينشر الكراهية باسم الله فهو يعبد الها خرج من صميم العادات والتقاليد لا أكثر .

فالانسان المستنير لا يمكن أن يخدم شهوته ولكن هؤلاء وضعوا الها يخدم شهواتهم بمسميات غريبة في هذه الحياة والحياة الاخرى .

أعلم كم الجرائم التي نسبت الى الاله ولكنه بريء من ذلك فمن يبدع شروق الشمس لا يحتفل بقتل نفس أبدا .

كن محبا أنظر بعين الحب , خذ العفو كفرصة لتطهير ذاتك , اعرض عمن يسيء لك فالحياة أقل من أن ترد عليه وعش كما تريد وأخدم مواهبك ونمها واستمتع بها ....

كن محبا وعش بحب ....

العلم الى أين ؟

مضى وأن أشرنا أن الاديان بدأت كخدمة للانسان حيث أنه المحور الأول لها , ولكن بعد ذلك يتم وضع الاله بدل الانسان كمحور للاديان وفي الحقيقة يكون رجال الدين هم في المركز لا الاله.

وكذلك كان العلم الذي بدا كخدمة للانسان في عصر النهضة حيث بدا الانسان يشعر بفوج الحياة تسري فيه من جديد بعد قرون الظلام الأوروبية فبدأت الاطروحات تصبح أكثر نضجا وساهمت الطابعة في ايجاد مورد تعليمي يبتعد عن بئر الكنيسة المظلم فاختلفت الاراء وأنتج هذا الاختلاف الكثير من الاختراعات والنظريات .

ولكن ما ان تم نزع الانسان عن مركزيته بالنسبة للعلم ووضع مركزية قومية حتى رأينا الحروب وأسلحة الدمار وحملات الاستعمار .

وبعد ذلك عاد الانسان الى مركزه وأصبح العلم مهتما بالقضاء على الامراض وتبسيط المشاكل التي يواجهها الانسان ومحاولة فهم قوانين الطبيعة ولكنه دخل ايضا كجزء من الحرب الباردة بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية لتتم ازاحة الانسان عن مركزه مرة أخرى ومع سقوط السوفييت كان المجال مفتوحا للرأسمالية لتلعب دورا كبير في تسيير عجلة العلم .

من غير المنطقي أن يكون هناك (شركات دواء) تتنافس مع بعضها لجني الارباح على حساب الانسان ! .

ومن الغريب أن ترى ماركات تقتل الحيوانات لاستعمال جلودها واعادة تصنيعها لوجود امرآة بعقلها لوثة تريد ان ترتدي حقيبة يد مصنوعة من جلد النمر لتتباهى بها !

نعلم أن هناك الكثير من البشر يحملون معهم لوثات عقلية ولكن موافقة هذه اللوثات لجني المال والاضرار بالكوكب هو أمر محير وأكثر جنونا !

حينما تم فصل العلم عن الميتافزيقا خسر جانبا مهما وهو الجانب الغائي والاخلاقي من العلم حيث أننا لو أكدنا على هذا الجانب لن نجد شركات تصمم سيارات بسرعات جنونية فقط لجني الارباح وعدم مبالة بالارواح .

حتى التخصصات العلمية أصبحت تجارية بحتة حيث أن بعض التخصصات لا تحتاج فيها الا للدبلوم كونها تعتمد على التطبيق والخبرة أكثر من التنظير ومع ذلك ترى بكالوريوس وماجستير ودكتوراه في أمور لا تحتاج الى كل هذه السنوات من الدراسة !.



ومع أننا نعلم أن الغابات تعتبر رئة كوكبنا الا أننا نزيل الغابات لكي نبني مكانها مصنع للادوات المنزلية !

هل نحن مجانين فعلا ؟

حتى معايير النجاح أصبحت لمن يملك أكبر عدد من الاشياء التي لا يحتاجها وأكبر قدر من المال مع أننا نحن نعطي كل هذه الاشياء قيمة بل نحن صنعناها بأيدينا !

عمر الكون مايقارب 13.7 مليار عام وعمر كوكبنا زهاء 4.57 مليار عام ولو افترضنا أن الحياة دبت في الكوكب قبل مليون عام فان الدمار الذي لحق بالكوكب في أخر 5 قرون لم يشهده الكوكب منذ أن وجد ! .

مشاكل المناخ التي بدأت تظهر بشكل فعلي تعيد الى أذهاننا أسس فلسفة الطاو والبوذية وغيرها من فلسفات الشرق الاقصى عموما والقاضي بالتماهي والانسجام مع الطبيعة بدلا من محاولة السيطرة كون العواقب ستكون وخيمة وعلى شكل براكين وأعاصير وفيضانات وزلازل لا قوة للانسان على تحملها .

نعم التطور بسط لنا الكثير من الاشكلات ولكنه خلف اشكالات موازية لتلك التي قضى عليها لذلك العلم بحاجة الى ميتافزيقا العلم لكي تكون القيمة العلية فيها للكوكب والانسان لا المال ولا السياسة .

فالانسان هو مايعطي كل شيء قيمة لا النظام الرأسمالي الذي حول العالم الى ساحة لا يبقى فيها الا الأقوى وقسم مقادير الكوكب في يد فئة قليلة جدا ...

قبل أن أموت ...

أغلب البشر ينظرون الى الموت بشكل سلبي , ينظرون الى الموت كنقيض للسعادة وعدو للبسمة .

ولكن تخيل معي ان تم اخبارك أن حياتك ستنتهي بعد اسبوع ماذا ستفعل في هذا الاسبوع المتبقي من حياتك ؟

حتما ستعطي كل دقيقة أهمية قصوى وستعيش كل ثانية من هذا الاسبوع , ستسمتع بصحبة احبابك من الأهل والاصدقاء وستخبرهم بمقدار حبك لهم .

ستمارس هوايتك وستمتع بموسيقاك المفضلة وستتماهى مع الكتب التي أخترتها لكي تختم بها حياتك , ومن يدري فقد تكتب كتابا ! .

ستحاول زيارة الاماكن الجميلة التي لطالما حلمت بزيارتها , ستبتسم في وجه كل من تقابله وستخبره كم هي الحياة جميلة .

لن تكتنز المال بعد اليوم ولن تذهب لشراء أشياء لست بحاجة لها بل ستنفق المال في سبيل سعادتك ومساعدة الاخرين .

ستكون شعلة أمل لكل يائس , وستخبر الظالم بأنه ظالم فلا شيء يخيفك بعد اليوم .

ستنظر لشروق الشمس وغروبها وكأنك ترى هذه المناظر لاول مرة !

ستستع بزقزقة العصافير في الصباح وكأنك تستمع اليها لأول مرة !

ستتذوق طعامك بلذة كبيرة , سترقص وتغني وتقرأ وتمارس هوايتك وستفعل كل ما أردت فعله في هذا الأسبوع وسيكون أجمل اسبوع في حياتك .

أتعرف لماذا ؟

لانك عشت كل ثانية من هذا الاسبوع كما تريد أنت , بلا ضغوط وبروح مفعمة بالحيوية وحب الجمال .

لن تقف لكي تشاجر أحدهم أو تعادي أحدا بل ستعفو فلا وقت لديك لكراهيتهم فكل الوقت قد كرسته في لقاء من تحب وفعل ما تحب .

قبل الموت ستسترجع شريط حياتك وسيفقد رصيدك المليء بالمال قيمته وحتى الجوائز التي حوزتها ستفقد بريقها هي أيضا وحتى التاريخ الذي دخلته والكتب التي كتبتها والشهرة التي نيلتها كلها تغدوا أمورا لا معنى لها .



في هذه اللحظات وأنت تستعيد شريط حياتك ستبحث عن تلك اللحظات التي عشتها بكامل وجدانك , مع الأحباب وممارسة ماتحب من الاعمال .

ستندم على كل دقيقة عملت فيها في عمل لا تحبه وعلى كل علاقة مضطربة نشأت على أسس بعيدة كل البعد عن الحب , وعلى كل شخص أسأت اليه أو لم تغفر له .

ستدرك كم كانت الحياة قصيرة ولا تستحق كل هذا , ستدرك قيمة كل دقيقة وكل نفس , وبعد ان استرجعت شريط الذكريات اما أن تبتسم راضيا عن حياة عشتها كما تريد أنت لا كما يريد الاخرين أو كما يفرض عليك المعتقد أو العادات والتقاليد .

وستبكي ان كانت حياتك مجرد بحث عن مال أو شهرة أو خدمة أناس لا علاقة لك بهم أو دين يستخدمك لاغراض كهانه أو سياسي محتال يحتال عليك باسم الوطن .

نعم هنا ستندم ولكن بعد فوات الأوان .

الوقت هوالاحساس هكذا يرى هنري برغسون الوقت , وطالما اننا في عصر التقنية والكثير قد لا يعرف اسماء بعض الفلاسفة فلن نقتبس من حكمهم الرائعة ولكن سنقتبس كلام ستيف جوبز الرائع الذي أضاف للعالم شيئا جديدا ولم يكن عالة عليه ومع نجاحه وشهرته وكفاحه قال قبل وفاته " لم تكن حياتي مليئة بالحب " ! .

صحيح أن الحياة تفرض علينا أن نتعاطى مع الاسم والمجتمع وما يحويه من معتقدات وعادات وتقاليد وعليك أيضا أن تعمل لكي تعيش ولكن مع هذا كله يجب أن تعرف أنك لست كل هذا وأنك في رحلة وعليك الاستمتاع بها على أكمل وجه .

الموت ليس نقيضا للحياة , بالعكس الموت معلم وملهم يعلمنا ويلهمنا كيف نعيش وكيف نحفل بكل ثانية في حياتنا .

حاول أن تعد قائمة باعمال تود القيام بها قبل الموت , ومارس هوايتك وافعل ماتحب كل يوم وعش كنبع للحب ينبع منك ويسقي قلوب البشر .

الكثير يرى حب النفس شيئا خاطئا كونهم يلحظون الجانب السلبي ممن يتمنون كل خير لهم فقط وهذا خطأ نابع عن جهل .

ولكن حب النفس الذي يدفع المرء لكي يستمتع بحياته ويحقق أهدافه ويصنع أفكاره بنفسه ومع هذا فهو يساعد الاخرين ويرفع من معنوياتهم ويساعدهم على

بلوغ أهدافهم كونه لا يتنافس مع أحد سوى مع ذاته حيث أنه في كل يوم يصبح أفضل من قبل هنا يكون هذا الفرد ناجحا في حياته .

لقد ورثنا الرأسمالية وأبعادها الثقافية وساعد على ذلك الصورة السيئة والمبتذلة لاشتراكية ستالين وماوتسي تونج حيث أن هذا العالم الرأسمالي جعل الحياة أشبه بغابة لا بقاء فيها الا للأقوى بمقاييس المال .

فالسعادة في هذا العالم الرأسمالي تكمن في شراء كم هائل من الأشياء التي لا تحتاجها أبدا فقط لتتفاخر أمام الاخرين أو تقلدهم !

أو أن تكون مشهورا ومحاطا بهالة اعلامية زائفة لا تدوم طويلا وأينما حللت وجدت مجموعة من الثرثارين حولك ليسألوك أسئلة سخيفة جدا !

أو تهدف لنيل الجوائز لدخول التاريخ وهذا الامر في الحقيقة أفضل من جمع المال والشهرة ان كان الهدف دخول تاريخ العلم أو الأدب أو الفنون أو الرياضة لا تاريخ الحروب والقتل ولكن في النهاية كان بامكانك أن تسمتع بحياتك وتعمل بجد لممارسة النشاط الذي تحبه فقط لانك تحبه ولو تعاملت مع هذا النشاط بهذه العقلية صدقني كنت ستنتج أكثر وستبدع أكثر .

معايير النجاح في العالم الرأسمالي عبارة عن مايا "وهم" وسيتبدد حينما يقترب الموت منك .

لذلك أدبيات الشرق الأقصى كانت تحمل في بذورها النجاح والحياة والسلام فلا عجب أن تقوم اليابان بسرعة كبيرة بعد القنبلتين كونها تحمل ارثا عظيما من الافكار المصنفة تحت بند فن الحياة .

فيما في مجتمعاتنا العربية التي ورثت الجهل والخنوع وادمان الفشل جراء الاستبداد والخوف من الحكام الظلمة تكون السعادة حلم مؤجل الى الحياة الأخرى وهذا مجرد خداع للنفس وهروب من حالة الفشل الحالية .

فان كانت الحياة الاخرى جزاء للاعمال التي نقوم بها هنا فهذا يعني أنها الجزء الأيسر من المعادلة والذي يأتي بعد اشارة = , فيما الجزء الأيمن من المعادلة هي حياتنا هذه ومن كان عاش حقا بسلام نفسي هنا سيكون ناتج معادلته نجاح في الحياة الأخرى .

لذلك نرى العالم العربي على استعداد للقتل والتفجير كونه يملك ارثا لا بأس به من الكراهية وكونه يحمل القرآن ولا يقرأه حيث أن القرآن يساعد الفرد على العيش بسلام نفسي والانتاج الدائم وهذا غير موجود في العالم العربي حيث أن



النصوص المقدسة عندهم ليست القرآن بل أراء علماء ولذلك يفشلون بستمرار ولا ينتجون الا دمارا وهلاكا .

على العالم الاسلامي أن يراجع موروث الكراهية ويقف عن تقسيم العالم الى كفار ومسلمين مع أن القرآن عاب أتباع اليهودية على وصف أنفسهم انهم أبناء الاله هاهم المسلمين يفعلون الامر ذاته وهذا يحدث حينما يختلط الدين مع العادات والتقاليد سينتج لنا مسخا كالذي نراه اليوم .

السعادة تنتمي الى هذا العالم ولهذا العالم خلقنا ومحاولة تلميع الفشل محاولة زائفة وتضاهي الواقع فشلا .

وقد لاحظ أرنولد توينبي ذلك في العرب قديما حيث ان التحديات الصعبة هي التي تنتج الحضارة , ومع كل الصعوبات التي كان العرب يعانون منها لم تنتج حضارة لهم حتى أتى محمد وأضفى بعدا لحياة الفرد وقيمة فكانت الحضارة .

قبل أن تموت اجعلها زاوية تكتب فيها أهدافك وأعمل على تحقيقها وقبل ذلك عليك بمعرفة مفتاح السلام الداخلي وهو معرفة النفس , اعرف ذاتك وحينما تعرف ذاتك فستولد من جديد وستعانق الموت وتراه محفزا لك للعفو عن الاخرين ومساعدتهم وقضاء الوقت مع من تحب والبوح بمشاعرك اتجاههم والاستمتاع بهواياتك وموسيقاك وكتبك وكل ماتحب في هذه الحياة .

استمتع في كل ثانية وعشها كما تريد أنت , كن ذاتك واعرفها قبل ذلك ....

عش كل يوم وكأنه اليوم الاخير لحياتك وكن مصدر الحب لمن حولك ....

الباب الثاني

نشـأ أحمد في كنف حياة المدينة , حيث الوقت يمضــي من دون ملاحظة , هناك بين المعابد عاش وتربى في بيئة يظهر عليها المحافظة كغطاء خارجي , فيما الموج عاتي تحت الستار .

نشــأ في بيئة غير واضـــحة المعالم , تغير من جلدها وتتلون بألوان مختلفة , تطلب منك الشـــرف وهي عاهرة , تطلب منك الوفاء وهي تتفنن في الغدر , تطلب منك الوصل وهي هاجرة .

في بيئة بلا كيف أو لما فقط مجموعة مثل لا تمس قولا ولا تنفذ عملا ! .

تدرس الصـــدق ولكن بمقياس مندل مجرد صـــفة متنحية في المجتمع مقابل الصـــفة السائدة الكذب ! .

في بيئة تصفق لأحلامنا في الصغر وهي تبتسم ابتسامتها الصفراء تراقب هذا الطيار الصـغار والطبيب الصـغير وذاك المهندس الصـغير والفيلسـوف الصـغير بل تغضـب ان سمعت أحلاما غير هذه وتتهم الطفل بالغباء ! .

أتذكر أحدهم سأل عن ماذا يتمنى أن يصبح حينما يكبر فقال : " فراش " !

ضـحك المعلم وأخذت كدليل على الغباء مع أن هذا الطالب كان صــادقا وذكيا وفطنا للامنطقية البيئة التي يعيش فيها فاختار البساطة وترك للمعلم البهرجة ! .

نشأ في عالم يستفيد من مرض الانسان فقد لا يعالج الفرد لأنه لا يملك مالا فالانسان أضحى مجرد عدد في بيئته ! .

نشـأ في بيئة تمنحك خيارين لا ثالث لهما , اما سيد واما عبد ويتناقل الفرد يوميا بين هاتين الطبقتين فيظلم هنا ويظلم هناك وهكذا دواليك .

نشأ في مجتمع تنسحق فيه الأستقلالية , فالفرد مفروض عليه الامتثال لكيان الأسرة والكيان الديني ومن ثم المجتمع وعاداته وتقاليده وكلها مجرد قيود وأغلال تقيد الفرد .

يلتفت فيرى عدمية شـبنهاور , وفي الناحية المقابلة منطق نيتشـه وهو ليس ببعيد عن شابنهاور وبينهما أخرج البير كامو ثائر على كل هذا المجتمع .

مالعمل ؟

سؤال كان جوابه عند ديكارت واضحا :

" ضع الأسس جانبا لمحاولة الفهم " ولكن هذا لا يكفي !

لذلك كان الحل نيتشـويا يكمن في هدم كل شـيء ومن ثم البناء من جديد ولكن بيدي أنا لا بيد عمرو !

تسائل أحمد الشاب ذا العشرين ربيعا " وكيف يكون السبيل الى ذلك ؟ "

الخروج ! هذه كانت اجابة عقله حيث أن الحلقة لا تكون منفردة وهي في منظومة السلسلة كونها ستوصف بصيغة الجمع (حلقات) .

الانسحاب والانعزال كما ألمح أرنولد توينبي حيث أن الخروج من البيئة يضعف من سطوة العقل الجمعي والوهم المعرفي من التسلط على الفرد .

خرج وترك بيئته ورائه طلبا لحقيقة ومتزودا بالكتب التي يحتاجها في رحلته الجديدة .

خرج الى كهف كان يلجأ اليه كلما اشتدت المحن عليه .

وصل الى الكهف ليلا مع أنه لم يعتد القدوم الى الكهف في هذه الاوقات .

تذكر القصص التي تملئ العقل الجمعي لمجتمعه عن الجن والعفاريت

ارتعدت أطرافه حالما سمع صوتا يصدر من داخل الكهف , تجمد في مكانه والخوف يبعثر كل ما بقي من وعيه

الا أنه أستجمع قواه وذهب ليستكشف مصدر الصوت الذي كان يزداد كلما اقترب منه .

خطوة الى الأمام تعقبها هزات من الخوف تعصف بذهنه وتكاد تقتلع قلبه

استمر في السير حتى وصل الى مصدر الصوت الذي توقف فجأة !

تلفت يمنة ويسرة , هدوء يسود المكان .

أحس برطوبة تداهم شـــعره , رفع بصـــره فاذا بقطرات تتهادى على رأســـه وهي مصدر الصوت !

ضحك أحمد وأعاد التفكير في شعوره مرات ومرات حتى فهم أن الخوف الشديد أو التحذير الشديد لا يعني الخطر بقدر مايعني الجهل! .

عاد يفكر في معتقداته متفحصا لها من خلال معول نيتشه حتى وصل الى لبنة الاله فستبدل معول نيتشه الهادم بمحراث ديكارت ووضع اللبنة جانبا حتى يفكر .

لم يشك في وجود الاله أبدا , فمن السخف القول بأن مشهد شروق الشمس أتى بقبيل الصــــدفة , ولكنه رأى زيف التدين ومع هذا فرق بين المرض والمريض , بين المسجد ومحمد وبين الكنيسة وعيسى وبين المعبد وموسى وبين تيرافادا وبوذا .

تقدم الى حافة الكهف وبدأ يتامل النجوم من حوله والقمر في بهائه وتســـائل هل من المعقول أن يصدر العبث هذا الجمال ؟

فان حذفت المسميات وأبقيت على الحدث كما يشير هوسرل لكنت رفضت أن أنسب لوحة في غاية الجمال للعبث .

استمر في التحليل والحجج والبراهين ووضع بنفسه حججا

ابتسم وأعاد لبنته الأولى كما هي ولكن الان لم يعد يشعر بالاغتراب عن هذه اللبنة .

لم تكن ليلته الأولى في الكهف ليلة مثل باقي الليالي وليالي الكهوف تصـــنع التاريخ دائما !

فموسى عاد بالشريعة عند جبل وابراهيم قبله وقف على سفح الجبل بحثا عن الحقيقة ولاوتسيه لاذ بالجبل !

ومحمد لاذ بالجبل والتقى جبريل هناك فما قصة الجبل ؟

والاله يقول أنه لو أنزل القرآن على جبل لرآيته دكا ! فما قصة الجبل والحقيقة ؟ !

اسالوا الغجر عن ذلك فهم لم يرضوا بغير الجبال مكانا .

لم تكن ليلة الكهف تلك كباقي ليالي عمره العشرين , بل كانت أولى أيام حياته حيث أن المعرفة تلد الأنســان , تغير الأنســان , تخلق الأنســان , تحيل العدم الى وجود , تحيل التراب الى سماء , فقط المعرفة تربط السماء بالأرض .

اســـتيقظ من نومه مســـرعا حيث النوم لم يعد لأخذ الراحة بل لحظات توقف غير مرغوب بها في هذه الحياة .

تقدم الى مقدمة الكهف نظر بنظرة بانورامية وبصـــفاء ذهن متأملا لوحة لطالما كان يراها ولكن بعين مصابة بداء اللامعنى .

نظر وهو يعلم أن ســـواد الليل ليس بســـواد , وأن زرقة النهار ليســـت كذلك حيث الألوان تفتقد الى الوجود , فهي مجرد طـاقـة لهـا درجـات مختلفة تقـاس بمقيـاس انكستروم وعلى قدر المقياس نرى لونا معينا !

فان كان الفنان يمزج الالوان لكي يضـــفي جمالا على اللوحة فكيف بمنظر شـــروق الشمس بالوانه الخلابة ؟ !

أيعقل أن هذا الجمال قادم من اللامعنى !

لذلك لحظة شـروق الشـمس لحظة خلق جديد , لحظة ابداع في سـمفونية كونية هائلة تمتزج فيها الطاقات بمقادير معينة لكي يترجمها العقل الى ألوان محددة لا توجد بشكل خارجي بل توجد في عقولنا نحن !

برهان الألوان أو برهان الجمال أطلقوا عليه ماتريدون فأنا أسميه برهان الفنان ! .

هنا شـــرقت شـــمس أول يوم في وعي احمد فالزمان وعي وبلا وعي لا تتحدث عن حياة , لا تتحدث عن انسان ! .

سعادة غامرة تلك التي غمرت قلب أحمد فقد وضع لبنته الأولى بيديه .

فأن تصـوغ حرفك خير من مجلد يصـوغه لك أحدهم , وأن تحطو خطوتك خير من مئة قفزة يقفزها أحدهم بدلا عنك , هنا تصـــبح الانا جميلة ولكن أن تشـــتهي خطوة غيرك أو تخطف حرف غيرك هنا تستحيل الانانية الى مقت .

بمعول ديكارت أعاد اللبنة الأولى ومن حولها دمار عاصفة نيتشه

عاد أحمد الى داخل الكهف فالشمس أشرقت وانتهى عرض الجمال وبدأ العمل بعدما أبهرنا المهندس الاعظم بهندسته وفنه .

جلس وتسائل : ان كان عمل الاله ابهارا فكيف يولد الابهار انكار ؟

هل يمكن للانسان أن ينبهر وينكر ؟

قطعا من سيفعل هذا سيناقض نفسه وهو يعلم أنه يناقض نفسه وستكون له أغراض أخرى جعلته ينكر .

وفيما هو غارق في التفكير اذا بصوت سعال يقاطع خلوته !

تذكر خوفه بالأمس فكان أكثر شجاعة

تلفت يمنة ويســرة ليرى مصــدر الصــوت فاذا برجل عجوز قد ســرقت الايام قواه ونهبت منه الصـحة , نظر العجوز الى أحمد متثاقلا وهمس بأحرف تشبه الهمهمات : من أنت ؟

من أنت ؟

كان وقع السؤال غريب عليه , حيث أن منصب والده وأبهته تجيب على هذا السؤال دائما في ذلك المجتمع الزائف .

" أنا أحمد " قالها بعد لحظات من الصمت .

العجوز:

لم أسألك عن الاسم الذي منحته لك هذه الحياة ! بل سألتك عن ذاتك ؟ كينونتك ؟ تلك الشخصية التي كانت تبكي عندما أتت للحياة ! .

ارتبك أحمد , لم يعرف بماذا يجيب ! , من هذا العجوز ؟ وعن ماذا يتكلم يا ترى ؟ ومالذي أتى به الى هنا ؟ تسائلات ملأت عقل أحمد ولم تتوقف الا بطلب العجوز من أحمد الجلوس .

العجوز :

مالذي أتى بك الى هنا ؟

أحمد :

مللت حياة المدينة وأردت أن اخلو بنفسي , ولم أعلم بوجودك هنا وسأغادر ان طلبت مني ذلك ! .

ساد الصمت المكان , كان العجوز غارقا في التفكير بملامح لا تبشر بخير أو بشر .

تأمل أحمد وجه العجوز , خطوط عريضة جعلت من جباه العجوز صحراء ذات أسرار لم تكشف , تعرجات جعلت من وجنتيه هضبة تحمل في طياتها كنزا لم يكتشف .

التفت العجوز وقال :

لقد أتيت الى هنا لذات السبب , لست اقطاعيا حتى أمنعك مشاركتي لهذا الكهف , ولكن أخبرني عن حال المدينة فلم أرها منذ زمن ولم التقي بأهلها لسنين طوال .

أحمد :

المدينة ياله من سحر كاذب , زاد جمال عمرانها اطراديا مع خواء نفوس قاطنيها , ابتسامات صفراء تملأ أركانها , وأسماء رنانة , وكلمات بلا أفعال , وصلوات لا تصلي , ورب لا يعزي , كل شيء قابل لأن يكون وسيلة حتى الاله أصبح يقتل ! .

العجوز:

لم يختلف الحال اذا , وكما لفظتني الحياة هاهيا تلفظك .

أحمد :

أتيت باحثا عن الحقيقة , عن ذاتي التي لم أر ها في طيات ابن الوزير حيث الكل يبتسم لي ويسلبني حق الاحساس !

فماذا يعرف عن الفرح من كانت حياته كلها فرح ؟

يشتكي الكثير من الحزن وأنا أريد معانقته !

من الخذلان وأنا أريد مقابلته !

من الحب والفقد وأنا لا أعرف كنه هذه الكلمات لاني ابن الوزير !

أريد الها أصلي به , لا الها يصلي علي !

لا أدري اين الطريق وكيف المسار ...

العجوز :

غب عن الطريق تجده !

أحمد :

كيف ؟

العجوز :

انها مقولة للبسطامي , أخرج من المسار كله وستبني مركبك الخاص لبلوغ هدفك !

أحمد :

وكيف السبيل الى ذلك ؟

العجوز :

ياللقدر ! , لقد منحني فرصة بأن أكون ربة الفلسفة التي داوت بويثيوس .

يابني لقد أدركت مابك حينما ســألتك من أنت وأخبرتني بمتوالية حروف منحة اياها كي تميز ممن حولك لا أكثر واستخدامنا للغة فرض ذلك علينا .

فاسنين البحث جعلتني أقطع مسافة ستقطعها أيضا وها أنت قد بدأت فعلا .

تعال يابني ففي جعبتي قصص أنارت كهفي هذا وقبل هذا دعنا نكتشف من أنت ...

النفس

العجوز :

يجب أن تعلم يابني أن من أتى باكيا الى هذا العالم ليس هو من أطلق عليه أحمد فهذه المتوالية رباعية الحرف فرضت علينا لاستخدامنا اللغة والتي تحتاج الى أن تحد كل مافي نطاقها .

وان تعاملنا مع هذه المتوالية على أنها تجسيد لنا هنا تستحيل الى ستار يفصلنا عن ذواتنا الحقيقية .

انك تعتقد أن أحمد ابن الوزير وهذا ما جعل الكل حولك يبتسم لك ابتسامة صفراء !

أحمد :

اذن من أكون ؟

العجوز :

يجب أن تعرف أن اسمك مجرد دور منحته لك الحياة لتلعبه على مسرحها ! .

فالدور كان ابن وزير ودور الأخر حارس الوزير والأخر بواب الوزير وهكذا ....

ولأن هذه الأدوار ترتبط بالانسان منذ الولادة فقد نسي ذاته الحقيقية وتماهى بشكل كبير مع دوره , فبدلا من أن يكون حزن الشخصية فقط على المسرح لا يعني حزن الممثل , أصبح الممثل حزينا لحزن دوره على المسرح متماهيا وبشكل كامل مع ذلك الدور وبشكل يثير الضحك والبكاء في آن واحد !

أحمد :

ان لم أكن ابن الوزير فمن أكون ؟

العجوز :

دعك من النحو والصفة والموصوف وتخلص من دورك وأترك المسرح .

ألا ترى دور الوزير دور ممل ؟

أحمد :

بلى ولهذا أنا هنا ! .

العجوز :

وهل تعتقد أن استبدال دور بدور قد يجلب السعادة ؟

أحمد :

في الحقيقة لا أعرف .

العجوز :

اذا دعنا نبحر في مسرح الحياة حتى نستكشف الحقيقة ......

ماذا أريد ؟ (1)

العجوز :

هأنت علمت أن لك دورا في هذه الحياة أنيط بك من خلال تســـميتك , وعلمت أنك أكبر من هذا الدور الذي لا يعكس ذاتك .

أحمد :

بالتأكيد ....

العجوز :

اذا علينا أن نزيل الغمام الذي نركه ذاك الدور على روحك لنعيد اكتشافها....

أحمد :

كيف ؟ !

العجوز :

ان كانت حياة المسرح , تزيد السحب حول الروح فمن الأفضل تفنيذها ...

أحمد :

حسنا ....

العجوز :

ماهو الهدف الأسمى الذي يبحث عنه الفنان حين يؤدي دوره ؟

أحمد :

أن ينجح في تأديته ويصفق الجمهور له ! .

العجوز :

ولكن مسرح الحياة بلا جمهور , فمن الذي سيصفق ؟

أحمد :

متشوق لسماع ماتقول .

العجوز :

ان البشر على مسرح الحياة يؤدون أدوارهم وينغمسون فيها حتى أنهم ينسون ذواتهم الحقيقية في انجذاب كامل لهذا المسرح .



أحمد :

عظيم ......

العجوز :

والانجذاب لا يكون الا طلبا لشـــيء ما , فان لم يكن هناك جمهور يصـــفق , فماذا يكون كنه هذا الشيء ؟

أحمد :

ماهو ؟

العجوز :

يجب أن نعرف أن حال الانسان يؤثر على نوع الأسئلة التي يطرحها .

فالانســان القديم كان يبحث عن الغذاء والآمن لا أكثر , فكان دوره في مسـرح الحياة أن يكون صيادا .

لكن ياترى هل الطبيعة أعطته هذا الدور أم أنه اختار هذا الدور بكامل ارادته ؟

أحمد :

يتضح لي ان الطبيعة اختارت له هذا الخيار .

العجوز :

ولكن حينما اكتشـف الانسـان النار وبدا يسـتقر تغير دوره من الصـيد الى أدوار أكثر استقرارا كالزراعة والرعي .

فهل كان هذا الخيار بارادة الفرد أم من الطبيعة ؟

أحمد :

لسـت متأكدا ولكن أعتقد أنه خيار ذاتي كون الانسـان القديم كان يقدر على البقاء كما هو !

العجوز :

وأنت هل دورك منح لك من قبل الطبيعة أم كان خيارا ذاتيا ؟

أحمد :

لو كان خياري لما كنت معتكفا هنا **!** .

العجوز :

اذا كما منحتك الطبيعة دورك أيضـــا فرضــت على الانســان التحول من الصـيد الى دور أكثر استقرارا .

ولأن هذه الأدوار تمنح من قبل الطبيعة علينا التخلص منها ان أردنا التعرف على ذواتنا الحقيقية .

أحمد :

وكيف السبيل لذلك ؟

العجوز :

مالذي جعلك تترك دورك ؟

أحمد :

انتابني شعور شعور أن كل ما أنا فيه زائف .

العجوز :

صف لي هذا الشعور ؟

احمد :

لقد ضاق صدري جدا رغم أن الكثير يتمنون ما انا فيه .

العجوز :

اذا أنت تبحث مايضاد هذه الضيقة ؟

أحمد :

بالتأكيد ...

العجوز :

من يتمنى مكانك بالحري يشعر بضيقة جعلته يتوق للانفكاك من دوره .

أحمد :

بالتأكيد ...



العجوز :

و هل تراه حاصلا على ذلك ان حصل على دورك ؟

أحمد :

لا أعتقد ذلك .

العجوز :

كلاكما تبحثان عن ذات الشيء , و أفترقت السبل بكما .

فأنت لم تبحث عن دور اخر فيما هو بحث عن دور أخر على المسرح .

أحمد :

هذا ماحصل .

العجوز :

وما كنه هذا الشيء الذي تبحثان عنه وافترقت بكما السبل ؟

أحمد :

أن أشعر بكل ماحولي وكأني جزء منه .

العجوز :

التماهي مع الذات وبالتالي السعادة ؟

أحمد :

بكل تأكيد ...

العجوز :

و هل ترى السعادة شيئا نسبيا أم مطلقا ؟

أحمد :

ان قلنا أن النسبي هو كل ماله حدود لا يتعداها , فاني أطلب السعادة المطلقة ! .

العجوز :

ولكن هل يجوز للنسبي أن يطلب المطلق ؟

أحمد :

قطعا لا ..

العجوز :

ولكن بتعريفك للنسبي فانت نسبي فكيف تطلب المطلق !

أحمد :

أرجوك أكمل ...

العجوز :

سعيك للمطلق وأنت نسبي أمر مستحيل , ولكن توق النفس للمطلق يشير الى شيء ما ....

أحمد : ماهو ؟

العجوز :

ألم نتفق ان الطبيعة تعطيك دورا ما منذ الولادة ؟

احمد :

نعم .

العجوز :

وقطعا هذا الدور سينتهي يوما ما كما بدأ ؟

احمد :

نعم .

العجوز :

اذا من يبتغي تغيير دوره في مسرح الحياة بدور أخر طلبا للسعادة لن ينالها !

أحمد :

صحيح .

العجوز :

وألم تمنحنا الحياة جسدا بجانب الدور لكي نستعين به في تجسيد أدوارنا ؟

أحمد :

نعم

العجوز :

وارتباط اجسادنا بالأدوار يعني نسبيتها

أحمد :

بالفعل ...

العجوز :

وكما أن السعادة لا ترتبط بالأدوار فحري بها أن لا ترتبط بهذا الجسد ومتطلباته .

أحمد :

صحيح ....

العجوز :

ولكن ماهي تطلبات هذا الجسد ؟

أحمد :

مايبقيه على قيد الحياة ..

العجوز :

وهذا ماكان يبحث عنه الانسان القديم وأعطي دور صائد في مسرح الحياة , وكون السعادة مطلقة وهذا الدور نسبي فلن يجد الصائد السعادة المطلقة في المأكل والمشرب والجنس ؟

أحمد :

بالتأكيد , حيث أن الزيادة في المأكل والمشرب والجنس يورث السقم و والانغماس فيها مهلك للجسد ولا ينتهي بل يطلب المزيد .

العجوز :

فما رأيك بمن يبحث عن السعادة في هذه الأمور ؟

احمد :

حتما مخطئ فكثرت الطعام والشراب والجنس تهلك الجسد .

العجوز :

وهل ترى اهمالها هو الحل ؟

قطعا لا فهذه أمور فسيولوجية نحتاجها لنبقى على قيد الحياة , لذلك علينا أن نتعاطى معها بلا اسراف أو تقتير .

العجوز :

مايعني أن توجيه هذه الأشياء عن هدفها الحقيقي في بقاء الانسان سيورث الهلاك ؟

أحمد :

هذا ما أراه ...

العجوز :

اذا السعادة المطلقة لا تنتمي الى هذا الجسد النسبي ؟

أحمد :

بالطبع فالجسد ومتطلباته يدور حول فلك النسبية ولا يعقل أن نطلب المطلق بالنسبي .

ماذا أريد (الشهرة)

العجوز :

ها نحن ذا اتفقنا أن الملذات الحسية لا ترتبط بالسعادة .

أحمد :

صحيح ....

العجوز :

وماذا عن انسان الحضارة , هل سيكتفي بالملذات الجسدية ؟

أحمد :

قطعا لا ...

العجوز :

اذا سينتج لدينا الملذات النفسية , أتعرفها ؟

أحمد :

أتوق لمعرفتها منك ...

العجوز :

هذه الملذات هي : حب المال , الجاه , حب السلطة .

هل ترى من يملك احدى هذه الملذات سعيدا ؟

أحمد :

آه , لقد حوزتها جميعا ولم أكن سعيدا قط **!** .

العجوز :

انك تذكرني بسـدهارتا كسـيامي حينما ترك قصـره وانخلع من حياته وذهب باحثا خلف الحقيقة ...

احمد :

ومن يكون هذا أيها المعلم ؟

العجوز :

بوذا أو المستنير أحد الذين اكتشفوا ذواتهم في هذه الحياة وسأخبرك عنه , ولكن قبل هذا يجب أن نقوي عقلك حتى تفهم مراد أفعاله لا أن تحفظ اقواله فكل رســالة تكون رسالة بروحها ومعناها لا بحرفها ومنطوقها .

أحمد :

لك ذلك ...

العجوز :

ولنبدأ بالجاه والشهرة التي يسعى الكثير لنيلها , ويتعب في سبيلها .

ولكن ياترى هل تستحق كل هذا ؟

اعلم يابني أن اكثر ماينفر منه العاقل طالب الحقيقة هي الشهرة .

حيث أنها من اسمك الحجب والأغشية التي تحجب المرء عن معرفة ذاته الحقيقية .

فأن تكون مشــهورا يعني أن يكون غيرك مغمورا ويجب أن يبقوا كذلك مايعني بذل جهد كبير للحفاظ على هذه المكانة مع طرق فاسدة .

ولو قلنا ان من أهم صـور السـعادة عدم الاحتياج للاخرين سنرى الشـهرة تفشـل في هذا الجانب ! .

حيث ان الانســان المشــهور يحتاج الى المغمورين كي يبســط شــهرته ناهيك عن الخصــوصــية التي ســيفقدها وصــعوبة اتخاذ الأراء بل انعدام حقه في الخطأ للتعلم كأنسان بسيط ! .

فالشهرة لا يجب أن تكون هدفا يطلب بقدر مايجب أن تكون نتيجة لشيء ما .

فكلما كانت الشــهرة مطلبا قل الابداع , وكلما كانت الشــهرة نتيجة الابداع ســتتنامى بشكل مستمر دونما ان تؤذي صاحبه كونه يعمل لأجل العمل لا لأجل الشهرة .

فالسعادة المرتبطة بالشهرة نسبية وتكاد تكون لا شيء أمام كم البساطة التي ستنزعها عنك في حالة سعيت لها كهدف .

أما ان كانت الشـهرة نتيجة نبوغ وابداع كآنشـتاين ونيوتن وماركس وغاندي وميسـي وبولت وغيرهم من النوابغ في مختلف المجالات سـنراهم يشـتكون من الشـهرة ولن تغير في شخصياتهم شيئا ...

ماذا أريد (السلطة)

أحمد :

من الواضح أن الأدوار تخدع أصحابها ..

العجوز :

وبشـــكل عميق جدا , حيث أن التعاطي مع هذه الادوار يزداد يوما بعد يوم كالحفرة كلما أخذت منها كلما أتسعت أكثر فأكثر ومن هذه الادوار السلطة .

ياترى مالذي يجعل الفرد يبحث عن السلطة بهذه الضراوة ؟

أحمد :

لانه يعتقد أنه سيجد السعادة ان حاز السلطة ! .

العجوز :

بالفعل , فالســـلطة هي اجلى الانواع التي تعبر ظاهرا بعدم الاحتياج الى الغير والاكتفاء بالذات .

ولكن ياترى هل هذا صحيح ؟

أحمد :

اتوق لمعرفة الجواب ...

العجوز :

اعلم يابني أن أضعف المخلوقات في هذا العالم هو الحاكم او الملك ! .

احمد :

كيف ؟!

العجوز :

من يسعى الى السلطة ويضعها كهدف لايهمه أحازها بطرق صحيحة أم فاسدة عكس العظماء الذين تطلبهم السلطة ولا يطلبونها .

فالملك أو الحاكم قوته مجرد تعبير زائف عن فســـاد من حوله وجبن من يحكمهم , فيكفي هذا الحاكم أن يمتنع طباخه عن الطبخ ويغلق حرســـه الباب عليه حتى يموت جوعا ! , فكفي الحاكم عادة ماتكون ناعمة ! .

يحكى أن حاكم صراقوصة بلغه أن أحد الفلاسفة يغبنه على ماهو عليه من النعيم .

وذات يوم أحضر الحاكم الفيلسوف الى قصره وأتى بمأدبة فيها من كل انواع الطعام ولكن علق سيفا فوق كرسي الفيلسوف معلقا بشعرة حصان !

لم يستطع الفيلسوف التمتع بهذه المأدبة الفاخرة خوفا من سقوط السيف عليه في أي لحظة . ففهم المقصود فكل مافيه الحاكم من نعيم وقوة شيء نسبي قد يزول في أي لحظة ! .

فالحكم مجرد دور تعيس جدا , فلك أن تتخيل فنانا يمثل دور حاكم في احدى المسرحيات وتعلق بهذا الدور وأصبح يمثله خارج المسرح !

السلطة لا تضيف الى طالبها خيرا أو شرا , بل الانسان هو من يضيف اليها خيرا أو شرا وهذا يعني انه أوسع منها وأعظم منها .

ولو تأملنا هل الحاكم يكون مكتفيا بذاته ؟

سنرى أن الاجابة هي لا حيث انه يحتاج الى حرس وخدم , والى الكثير من الاتفاقيات لكي يبقى في حكمه , ويحتاج الى الشعب لكي يشعر بأنه حاكم ويحتاج الى طاعة الشعب او جبنه لكي يبقى .

فان كانت كل هذه الاحتياجات مرتبطة بالسلطة فأين السعادة فيها ؟

فالسلطة تفقدك نعمة الصداقة وتقطع أواصر العائلة حيث الشقيق يقتل أخاه والاب ابنه .

فهل تسمى الحياة حياة بلا اصدقاء ؟ بلا عائلة ؟ بلا ثقة ؟ أين راحة البال وسط هذا الزخم من القلق !

يقول بويثيوس " الكرسي الواسع أول الشامتين بأهله , وأعلم أن راحة البال لا تكون مع السلطة أبدا .

فمن يريد أن يفرض سلطته على غيره هو شخص يعاني من عقدة نقص ما , عقدة جعلته يتوق الى ذلك .

فحق السلطة العمل المتواصل لازدهار الارض ويكون مجرد دور في المجتمع يشغله الافضل والاقدر .

لا تسعى خلف السلطة أبدا فلن تجد السعادة في ثناياه أبدا .....

أحمد :

ما أجمل وقع كلامك ولكن ألا ترى ان الاخيار سيزهدون عن السلطة ولن يطلبها الا أهل الشر ؟

العجوز :

فرق كبير بين أن يطلبك الكرسـي وبين أن تطلبه , فالاخيار السلطة تطلبهم لامكانياتهم لا العكس لذلك لا تأثر فيهم بهرجتها الزائفة وتبقى نفوسهم عالية كما هي .

ووعي الشعب شيء مهم جدا , فالحاكم صورة شعبه فان كان الشعب خيرا لن يحكمه الا حاكم خير كونه نتاج هذه البيئة , وان كان الحاكم ظالما فهو نتاج بيئة ظالمة ولذلك يجب أن يكون التغيير في العقل والفكر وايجاد بيئة لا تنتج الا خيرا ولهذا تفشل الثورات التي لا تكون الا لحظات غضب في الغالب ولا تعكس تغيرا جذريا في العقل الجمعي للمجتمع .

هكذا كان بوذا وكونفوشيوس وموسى وعيسى ومحمد والمهاتما غاندي , طلبهم المنصب فاضفوا عليه من وهجهم كونهم يعرفون ذواتهم , ويعرفون اين السعادة المطلقة فيؤدون عملهم بشكل سليم .

أحمد :

أتوق لمعرفة أين تكمن السعادة الأبدية ! .

العجوز :

لا تستعجل فعلينا أن نزيح الكثير من الحجب أولا .....

المال

العجوز :

كل الملذات بقسميها تحتاج الى المال , ومع أن الانسان هو من يعطي قيمة للمال نرى وبشكل عجيب من يرى المال مصدرا للسعادة !

هل يفيد المال من كان في أرض قاحلة ولا يجد مايشربه ؟

أحمد :

لا .....

العجوز :

هل تعتقد أن من يعيش في بيئة باردة وأفتقد ما يدفأ به سيفكر مرتين بأن يحرق المال للتدفأة ان وجد ؟

أحمد :

لا لن يفكر ...

العجوز :

اذا لما تفوقت شربة ماء وبعض الحرارة على المال ؟

أين قيمة المال ؟

أحمد :

يتضح لي أن لا قيمة حقيقية للمال , ولو كان لها قيمة حقيقية لاحتفظت بها في كل الاحوال .

العجوز :

بالضبط ان المال محدود ونسبي , فأنت غني لأن غيرك فقير , ولا يجعل الفرد مكتفيا بذاته حيث أن الغني يحتاج الى من يحرس ماله ولا يأمن أن يأتي يوم ويغصب ماله منه , فأقل الناس خوفا من اللصوص هو الفقير .

والمال لا يسعد الا حينما تتم مشاركته مع الاخرين وحتى هذه السعادة منقوصة كونها قد توصل الفرد الى مرحلة يفقد فيها القدرة على تلبية متطلبات ذاته .

السعادة لا يمكن أن تكون في قصور الاغنياء , فكلما زادت بهرجة الخارج كلما دلت على خواء الداخل .

أنظر الى العظماء من البشرالذين لم يعرفوا القصور بل كانت مساكنهم ضيقة فيما قلوبهم أوسع من مئة قصر .

هنا العظمة الحقيقية , هنا السعادة الحقيقية , لا تتعامل مع المال كسانياسين يجوب العالم بلا مؤوى أو زاد .

بل استخدم مايكفيك وشارك الاخرين , وتذكر انك احوج للفقير من حاجة الفقير الى المال ....

أحمد :

اذا السعادة لا تكمن في هذا العالم ؟

العجوز :

كاذب هو من يقول ذلك , نحن خلقنا للارض و هنا سنجد السعادة .

أحمد :

ولكن حياتنا عبارة عن هذه الملذات التي ألغيت السعادة من نطاقها ! .

العجوز :

نعم الحياة ستكون كذلك ان بقيت طوال عمرك على مسرح الحياة تؤدي الدور الذي انتقته لك الطبيعة أو القدر ولم تحاول أن تفهم أو تصنع قدرك بذاتك .

أحمد :

ايقنت أن ينبغي علينا التخلي عن مسرح الحياة , ولكن ألا ترى أن مسرح الحياة هو الكون بأكمله ؟

فأين نذهب اذا ؟!

العجوز :

تخيل معي أن أحدهم دخل الى مسرح ما أثناء تقديم عرض .

هل يعتبر هذا الشخص من الممثلين ؟

أحمد :

قطعا لا ....

العجوز :

اذا المكان لا يحدد ماهيتك بقدر ماتحدد أنت ماهيته , ألم تفر أنت من قصرك الى هذا الكهف بحثا عن ذاتك ؟

أحمد :

نعم ...

العجوز :

وأصبح هذا الكهف ذا قيمة أعلى من تلك القصور كونه سيساعدك على الوحدة لكي تبحث عن ذاتك .

أحمد :

هذا صحيح ....

العجوز :

اذا قيمة المكان الظاهرية لا تشير الى شيء وعلى من يبحث عن ذاته أن ينظر في جوهر ماحوله لا في ظاهرها فالجوهر هو الماهية الحقيقية .

فالقصر مهما طال يبقى في جوهره منزلا يضم ساكنيه ولو فهم صاحب القصر هذا الجوهر لما بناه على هذه الشاكلة .

فمن منزل يضم ساكنيه استحال القصر كنوع من المفاخرة ومحاولة تلميع الذات الكاذبة واظهار لأبهة زائفة لا أكثر .

لذلك ترى السانياسين او الباحثين عن النيرفانا أو الصوفية المشائين لا يرون في مظاهر الترف شيئا كونهم يزيلون عنها غيوم الزيف ويرون جوهرها ومن يرى جوهر الاشياء سيستوي لديه الكهف والقصر .

وهذه النقطة لا يفهمها كثير من البشر حيث ينظرون اليهم كزهاد وفي الحقيقة هم يرون جوهر الشيء ولذلك يكتفون بأقرب صورة للجوهر بلا زيف لها .

فالمسكن لديهم هو المكان الذي نؤوي اليه ولذلك يسكنون في ابسط صور المساكن .

والمال هو مايساعدنا على قضاء حوائجنا والطعام مايبقينا على قيد الحياة فقط .

ولكن العلم هو مايوسع أفقنا ولذلك يبقى العلم المجال الوحيد الذي كلما ازداد المرء فيه كلما ارتفع وعلى المرء أن لا يتوقف عن التعلم دقيقة واحدة في حياته .

آه لكم أساء العالم الى ديوجانس فعابوا عليه استنارته ! .

على مر الأزمان تمت الاجابة على تسائلك مرارا ومن الممتع أن نستمع الى اجابات على هذا التسائل ...

السعادة في الفلسفة

العجوز :

لم تكن السعادة تشغل بال الانسان قديما حينما كان دوره مجرد صياد يصطاد ويتقاسم صيده مع من حوله في جو من الاشتراكية البدائية .

فيجب أن تعلم يابني أن الانسان جزء من البيئة , وكل مايؤثر في هذه البيئة من عوامل يؤثر على ثقافة الفرد ومخرجاته .

ولكن هذا السؤال بات مهما بعدما فقد الانسان روحه لصالح الانا الزائفة منبع كل الشرور .

حيث أن الانسان لم يكن يعرف التملك كون اهتمامه كان محصورا في يومه .

ولكن ما ان استقر الانسان حتى بدأ يدخر خصوصا بعدما أصبح مزارعا وراعيا حيث يقايض ماعنده بما ينقصه ويدور رأس ماله باستمرار في جو من الرأسمالية المبسطة .

وهنا اختلفت حال الانسان وأختلفت الاسئلة التي تدور في باله وذهنه لاختلاف العوامل المؤثرة على بيئته .

وبدأ الانسان يتسائل عن الكيفية التي أتى بها ؟ ولماذا ؟ ومالهدف من وجوده ؟

وهذه الأسئلة أنتجت لنا اللاهوت والعلم وان اجتمعا في شجرة الفلسفة ان تعاملنا مع مفردة فلسفة كمفهوم لا كالتطبيق وهذه من الاخطاء القاتلة لدينا ! .

أكان نيتشه محقا في عوده الأبدي ؟

فالصراع بين الذات الحقيقية التي تتصل مع جوهر الاشياء والذات الكاذبة التي تتعلق بغيوم الزيف حول الأشياء هو صراع قديم نتج عن تحول الانسان من دوره كصائد الى مزارع أو راعي وانتقل من حال الاشتراكية الى الرأسمالية ! .

والاشتراكية لا تنتمي الى الأنظمة التي عرفها العالم ! , فالعطاء يجب أن ينبع من الذات لا بالأمر والاكراه ! فجمال الشيء حينما يكون في موضع اختيار لا في موضع فرض بأي مسمى كان ! .

فحينما تتشارك طعامك مع من حولك ستشعر بسلام داخلي كونك أنت من أخترت هذا الشيء , ولكن ان تم اجبارك ستكره هذه العملية برمتها ! .

فمن يعطي كي لا يقول الناس عنه بخيل لن يجد جمالا فيما يفعله فهو مجبر وبشكل غير مباشر على فعل هذا الأمر !

ومن يطعم لان انتمائه الديني يجبره على ذلك فلن يجد هو الأخر متعة فيما فعله كونه مجبر على ذلك أيضا .

فجمال الفعل مرهون بالحرية متى اختفت الحرية كان الفعل مجرد تمثيلية متكررة .

أحمد :

بالفعل فالأختيار أساس الجمال .

العجوز :

ما لا خيار له لا معنى له .

ولنعد الى محور حديثنا حول السعادة المطلقة التي ترتبط بجوهر كل شيء وتكون حالة من انعكاس السلام الداخلي للخارج .

فالسعادة لا تكون في مظاهر الأبهة ومظاهر الترف التي تشير الى خواء داخلي عميق .

فالمظاهر تخدع من يراها .

فمن الممكن أن ترى رجلا مريضا ولكنه سعيد لأن المرض أتاح له بأن يجتمع بأولاده !

قد ترى ثوريا يسجن فتحزن عليه لانه حرم من الحرية فيما هو يرى كل الحرية في سجنه !

قد ترى فقيرا معدما يحتفل بالمال الذي يحصل عليه وينام قرير العين عكس صاحب أموال يفكر كيف له أن ينمي أمواله أو كيف يحفظها ويفوته كيف يستمتع بها !

الفلسفة كمفهوم تبحث هذه المساحة بين الظاهر والباطن والفلسفة كتطبيق هروب من الظاهر الى الباطن ! .

لم يتأخر البشر كثيرا في بحث هذه الاشكالية فقال هيراقليطس أن "الخير شر يزول والشر خير يتلاشى " فالخير والشر صور من ادراكنا تصف شيئا واحدا

ففي حالة " اللوغس " الخير يكون في التكون والاجتماع والشر في التفرق والفساد.

والحال ينطبق على الانسان حيث الصحة وامرض مجرد تعابير وصفية للوغس .

فلسفة هيراقليطس عظيمة حيث اختصر الكثير من المظاهر في جملة بسيطة تحمل مدلولات متنوعة وعميقة .

وعارضه بارميندس حيث قال أن الاشياء تبقى كما هي ولا يمكن للماء أن يتحول الى سمكة أو العكس فالماء يبقى ماءا الى الأبد .

ولكن هل كلام بارميندس يتعارض مع كلام هيراقليطس ؟

أحمد :

بالتأكيد , فهيراقليطس قال بأن كل شيء يتغير وبارميندس قال أن كل الاشياء تبقى كما هي !! .

العجوز :

لا تستعجل في الحكم , وأنظر للأمور بنظرة متعمقة .

لقد أشار هيراقليطس للظاهر وكان تجريبيا في نظرته حيث أنها نتاج ملاحظته لظاهر الأشياء .

فيما كان بارميندس متعمقا وأحد أوائل من استخدم المنطق لتقييم الأفكار فكانت فكرته تشير الى الجوهر .

قد يكون أفلاطون أساء عرض بارميندس لنا حينما عرض فكره على الظاهر وليس الجوهر وقد يكون تلميذه زينون وأحاجيجه الغريبة نتاج فهم مستعجل لكلمات بارميندس .

ومن ثم أتى الفيثاغوريين أن الخير في العلم والشر في الجهل وصاغوا كلمة فلسفة قبل سقراط ومن قبلهم كونفوشيوس .

ومن ثم أتى السفسطائيون أن المعايير الأخلاقية والقوانين ليست ملزمة كونها من صنع البشر ويمكن تغييرها .

ولهذا نبذ برتاغووراس آلهة الأوليمب حيث رأى أنها انعكاس لمشاعر البشر وأن الألهة الحقيقية لا تكون كذلك أبدا .

وبدأ السفسطائيون في نقض الأفكار لا في تأسيس الأفكار وكانت طريقتهم جميلة جدا واجتذبت سقراط والذي تفطن لهذا فانتهج هذا النهج مع اضافة قاعدة لكل شيء وهي الفضيلة .

فالسفسطائيون لم يكونوا بالسوء الذي تم تصويرهم به ولولاهم لما كان سقراط ولولا سقراط لما كان أفلاطون ولا أرسطو ولا العالم كما هو اليوم .

فسقراط هو سفسطائي بشكل ما حيث أنه عني بتبيان الجهل ووهم المعرفة وبالتالي تبديد أهم مصادر قوى الأنا الكاذبة .

فشعار اعرف ذاتك أكانت عبارة منحوتة في معبد دلفي أم عبارة نطق بها سقراط ستبقى العبارة التي نهضت بأثينا .

فكما أن السفسطائيين قالوا أن القوانين ليست ملزمة بهدف ازاحة صنم القوانين والنفاذ الى روحها , قال سقراط أن معرفة الذات هي الحقيقة الأولى وأن الفضيلة مرادفة لمعرفة الذات , وقال أفلاطون أن الخير في العلم والشر في الجهل وأن التعاطي مع عالم الحس الذي حولنا لن يجعلنا نتعرف على الحقيقة حيث أن الحقيقة يجب أن تكون تامة وهذا العالم نسبي .

فوضع نظرية المثل حيث أن كل شيء له في هذا العالم له مثال تام في عالم يختلف عن عالمنا .

ولكي نتعرف على هذا العالم علينا أن نترفع عن عالم الحس ونستخدم عقولنا التي قبس من الخير الأعظم .

فيما ذهب أرسطو أن الحقيقة تنتمي لكل موجود ولكن بشكل خفي حيث الحقيقة لا تتغير والجوهر لا يتغير ولذلك الجوهر يبقى الحقيقة .

تغيرت صيغة السؤال بعد أن فقدت أثينا حكمها الذاتي على يد الاسكندر وبعد فشل محاولات عدة لاستعادة حريتها ساد جو من الاحباط جعل من صيغة السؤال بدلا من ماهية الحياة والحقيقة الى مالجدوى منها ؟ !

فاختلفت الأجوبة ومعها اختلفت المدارس الفلسفية للسقراطيين الصغار وهم اقليدس ومدرسته الميغارية وارستبون ومدرسته القورينائية وأنستمانس ومدرسته الكلبية .

فانستمانس رأى أن هدف الحياة الأول السعادة ولن تأتي الا بالانعتاق من المادة والعيش مع جوهر الاشياء ومن أشهر روادها ديوجانس .

فيما ذهب أرستبوس الى أن الهدف من الحياة يكمن في السعادة وتكون في اللذة واللذة تكمن في دفع الالم بشكل مستمر وبأي طريقة .

هذه الاجابة أنتجت ملاك الموت هجسياس الذي قال لا جدوى من دفع الالم بالموت فأمر الناس بالانتحار وأبقى حياته ليامرهم بذلك دون ان يشاركهم ! .

وبعد ذلك أتت الابقورية وقالت ان السعادة هي دفع كل ماينتج الالم وعليه أنكروا اللذات الجسدية والحسية والايمان بالميتافزيقا .

والرواقية أشاروا الى أن السعادة تكون في فهم مراد الاله الذي يكون خيرا دائما .



فيما في الشرق اتفق على أن الحياة عبارة عن وهم والسعادة في التعالي على العالم الحسي والانسجام مع المطلق .

وقف العجوز وتقدم لقد مضى اليوم سريعا , التفت الى أحمد وقال :

يابني السعادة مطلقة من ينتمي لها يجب أن يكون مطلقا , يقف بعد مشاعره وقبل تفكيره .

هاقد علمت أن السعادة لا تكون مع لذات النفس بل أن الالم وكل الالم ينبعث من هذه اللذات .

السعادة أن تكون معطاء كالبحر , عادلا كالشمس , ترى الكل في نفسك فلا وجود للأخر وحيث يختفي العدو يختفي الشيطان , وحيث يختفي الشيطان تختفي النفس وحيث تختفي النفس يكون الاله .

يابني لا تصدق المعابد فالههم شيطان وشيطانهم اله , كذبهم صدق وصدقهم كذب .

يابني القصر الممشوق لا يحكي سعادة قاطنيه , ولا لباس رجال الدين ومظاهرهم تعكس الاله , فمن يعرف السعادة والاله لن يتشدق بشكليات أبدا ! .

يابني لقد صاح سبارتوكس حينما عرف ذاته بالرومان وأقلق مضاجع من كانوا يتسلون به ! .

ذاك المقعد الذي طرد منه غاندي هو من طرد بريطانيا من الهند ! .

يابني ان الاستنارة لا تعني البحث أو الزهد أو الاختلاء لسنين طويلة ! , فقد تكون مقعدا كما كانت لغاندي أو ضوءا يتباعد كما لأنشتاين !

عليك بالقطار فقد أنقذ العالم ! ..

يابني انك عميق بلا قاع فاسبح في ذاتك تسبر أغوارها .

يابني اعشق الجمال والموسيقى فهما يكرسان الجزء المتنور فيك .

يابني لا تعتقد أن الحقيقة تعرف بالمنطق , فالحقيقة متمردة وما أجمل تمردها ! ...

يابني ستجد الاله في ابتسامة في مساعدة تقدمها لشخص لا تعرف , تصفح عن مسكين أخطأ عليك , تسمع كلام مهموم وتسلي قلب حزين .

يابني السعادة في العطاء , السعادة في الخير ..

كن أنت , شق طريقا خاصا بك واردمه خلفك ولا تجعل أحدا يرافقك في طريقك ولكن دعه يشق طريقا خاصا به موازيا لك ..



تعلم لتفهم , وأفهم لتتطور , لا تجادل ولا تضع وقتا في الجدال فالحياة أقصر من أي جدال وان كان رأيك الأفضل ! .

الانسان نسبي ولا يمكنه أن يحوز الحقيقة المطلقة , قد يضفي على أرائه بذلك ولكن في النهاية ماتراه مطلقا لن يناسب غيرك فاحترم ماعند الاخرين واستمتع بالاختلاف .

عش الحياة , عش كل لحظة بفعل شيء تريده , لا بشيء تم املائه عليك .

أنهى العجوز كلامه ووقف صامتا متأملا .

للتو عاد أحمد الى الاحساس بذاته , فلم يحس بما حوله فقد كان مشدوها بكلام الرجل .

احس بروح جديدة تلتهب داخله , طاف الكهف كله مفكر في لا شيء !

ما أسعد هذه اللحظة التي نتأمل فيها بصمت ولكن لا شيء يوجد في أدمغتنا ! .

قلب نظره حول العجوز , ياترى من هذا ؟

أهو فيلسوف ؟

أم شامان ؟ لا يهم المسمى المهم الفعل , فقد خلقني هذا الرجل خلقا أخر ....



" التيه حقيقة لا يدركها المرابطون ....."

" بين الملك والشيطان يقف الانسان , وبين الشيطان والانسان يقف الضمير , وبين الملك والانسان تقف الارادة , وبين الانسان والاله يقف الكاهن ....."

" صاح فرعون يوما ؟ أنا ربكم الأعلى ؟ ظن انها حقيقة .....

صاح ابراهيم تائها : هذا ليس باله فقد أفل ... فكانت حقيقة ....

" لم يكن جلال الدين الرومي انسانا الا بعدما قابل شمس الدين التبريزي .... طرد شمس من المدينة وبقي الرومي يولول في ليلها "



" صاح فرد لا يؤمن بالكهنة : ألا ترون أن الله على كل شيء قدير ؟

قالوا : بلى

قال : فلما تدافعون عنه وكأنه ضعيف ؟ تقتلون وتدمرون وتقولون هذه ارادة الله ! ان كانت ارادته لما لم ينفذها بنفسه ؟ أهو بحاجة لقوتكم ؟ !

صفق الوجود للرجل وكاد جبريل ينزل اليه بالنبوة ! "

" لا تتبع حروفي ولكن اتبع الصدى الى حيث يقودك ....."

....

....

....

لست أنا ...

هنا تكون شمس التبريزي أشرقت

على روحك وحملتك الى التيه كما

حملت الرومي من المنبر إلى الرقص

فالرقص تيه كما الغناء تيه

كما العشق تيه , كما الحكمة تيه

كما الاله تيه

عليك بالتيه ...

فالناي حينما يتيه عن جذعه

يصبح ذا شجون

و الفرد حينما يتيه يصبح نبياً

حسين نور عبد الله

